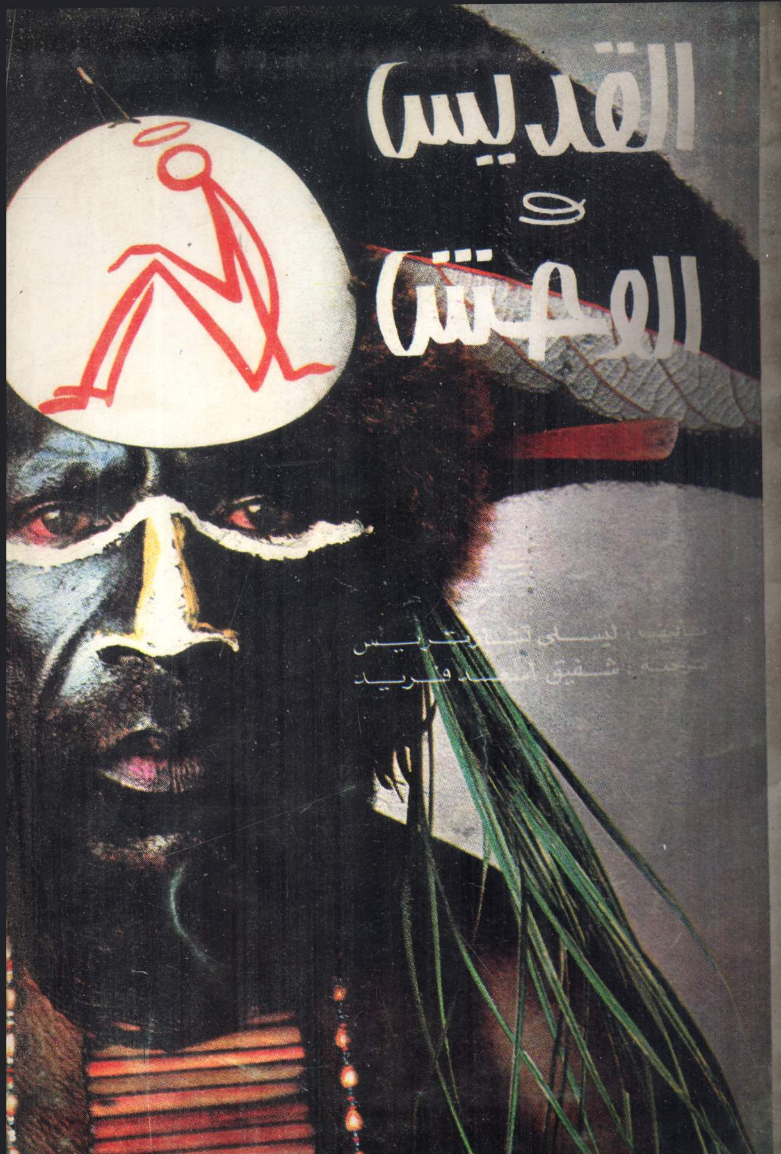

القديس
و
الوحش
تأليف: ليسلي تشارتريس
ترجمة: شفيق أسعد فريد

القـــديس والوحـــش

١٠ قـــروش
في : ج.ع.م



سُور الأزبكية

عُمَر زَينب يوسُف

القديس والوحش

تأليف : ليسلي تشارترس
ترجمة : شفيق أسعد فريد

القسم الاول

كنز القرصان

لم يكن سيمون تمبلار من النوع الذى يقدم على أداء خدمات لنوع معين من أصدقائه ومعارفه ولم يكن يتحمس لذلك حتى ولو كانت، هذه الخدمات تثير كوامن حب المغامرة فى نفسه وتوقظ حماسته لمعرفة المزيد من خفايا المجتمع ·

ومن الاشياء التى تثير اشمئزازه غرام الكثيرين باقتناء التحف والانتيكات وكانت تستهويه البيوت المبنية على الطراز القديم لانها تمثل العهد الذى بنيت فيه ولكن أن يجىء شخص ويقلد هذا القديم فى عصور حديثة فهذا ما كان يضايقه ويثيره . كان الأثاث الكلاسيكى يرضيه اذا احتواه منزل من البيوت القديمة الطراز ولكن أن يصر الناس على وضع مثل هذا الاثاث فى منزل مبنى على الطراز الحديث فهذا ما يذكره بالقرد يصر على التقليد دون وعى أو تفكير ·

وكان يحدث نفسه قائلا « لو أن الناس أصروا على الاحتفاظ بالطابع الاليزابثى فى الاثاث والبناء لما تطور البناء والاثاث على مر العصور ولما اشتعلت قرائح الرسامين والمهندسين بنماذج أخرى وصور جديدة منها . ولو أصر الناس على النظر فى اعجاب وولة للقديم لاستمر الانسان يعيش على أرائك من الحجارة داخل كهوف منحوتة فى العراء · لقد ولدت فى القرن

العشرين ولا أجد غضاضة فى أن أعيش فى زمانى بتجاربه وطرزه وطابعه ·

وكان يضيف فى حديثه لنفسه أنه فعلا قد سمى ألمع قراصنة القرن العشرين ولكنه لا يفكر اطلاقا فى وضع حلقات فى أذنيه والسير بحذاء له رقبة تصل الى فخذه حتى يبدو فى صورة قراصنة العصور القديمة فهو لا يحب أن يظهر بصورة همجية بل يصر على الاحتفاظ بطابع المدينة والحضارة ·

ومن دواعى ضيقه أيضا هذا الطابع الغريب الذى تمتاز به بعض المقاطعات الامريكية حتى أنك تحس وأنت فى ديترويت أنك فى محل بائع للانتيكات ينتظر الزوار من آن لاخر · وترى عربات القرون الوسطى تسير جنبا الى جنب مع السيارات حديثة الطراز والطائرات النفاثة · ولو خير من خلدت أسمائهم فوق قطع من الاثاث أو على أكواب الشاى لما رغبوا فى ذلك مطلقا ·

ولكن الرياح تأتى بما لا تشتهى السفن ، فها هو سيمون تمبلار بعد كل ذلك فى أحد محلات بيع التحف فى هامبورج بألمانيا وفى ضاحية أ ب ج ستراس بالذات يسأل صاحب الحان قائلا :

ـ اننى أبحث عن كئوس للنبيذ من طراز الراين العتيق ، هذا النوع الذى عشقه الناس والذى بلغت سمعته الاسماع فى جميع أنحاء العالم ·

ـ آه ، لقد فهمت تماما ماذا تعنى أنهم يطلقون عليه اسم أكواب رومر ·

ـ هل لديك بعض منها ؟

ـ آسف ليس لدى شىء منها الآن . ان الاشياء الاثرية نادرة للغاية .

ـ نعم أعلم ذلك · ولكنى لا أبالى بالمبلغ الذى أدفعه ثمنا لها · فأننى أريدها كهدية ثمينةلشخص أعتزبهوهو شغوف الىحد الهوس وليس لديه منها سوىثلاثة أو أربعة . وأود أن أتمها دستة كاملة . وكلما بلغتقيمتها وندرتها كلما تأثر بالهدية وكان لها أجمل الاثر فى نفسه ·

ورغم محاولةسيمون تمبلار انيظهر بمظهر اللامبالى بالمال والمصر على اقتناء تحفة ثمينة مهما كان الثمن الا أن مظهره ، لحسن الحظ أو لسوء الحظ ، لم يكن يوحى للمرء بأنه ولد وفى فمه ملعقة فضية · ولا تصيب المرء الدهشة حين يتظاهر أمامه بأنه ولد وفى فمه ملعقة ذهبية ولا يرجع ذلك لعراقة حسبه ونسبه فقد كان من أسرة لا ترقى لمستوى الحسب والنسب بل هى سمعة اكتسبها وسلوك اجاده واتقنه حتى أصبح يمثل جزءا منه . كان صاحب الدكان شيخا عجوزا أسمه جوهان أورميستر كما كتب على يافطة الدكان . كان شعره رماديا وعيناه شاحبتان تفحصتا سيمون تمبلار بنظرة الخبير ·

ــ يسرنى جدا أن أبحث لك عنها يا سيدى . اذا تفضلت بترك أسمك .

ـ برنار ·

قالها سيمون تمبلار بثقة عجيبة .

ان المانيا هى البلدة التى لا يفكر مطلقا فى أنه يحظى بشىء من الشعبية فيها · وهو متأكد أن اسمه لا يحدث نفس الصدى الذى يحدثه فى جهات أخرى · وهذا ما أكده تماما سلوك مستر أورميستر اذ لم يعرف أنهذا الرجل هو القديس ·

ـ وأين تقطن يا سيدى ؟
ـ فى فيير جارشتين ٠
ـ اذا استطعت ان اجد احدها فسأخبرك على التـــو ٠
كم من الوقت ستقضى فى بلدتنا ؟
ـ أسبوع على أكثر تقدير ٠
ـ أهذه هى المرة الاولى التى تزور فيها هامبورج ٠
ـ نعم ٠

واستدار الهر اورميستر وأمسك بكتيب من فوق أحد الرفوف ٠ وقد كتب على غلافه الدليل الى هامبورج ٠ وأعطاه الى سيمون تمبلار ٠

ـ تفضل بالحصول على ورقة من هذه الاوراق مع تحياتى وترحيبى ٠ فربما ساعدتك فى الاستمتاع بوقتك وأتمنى لك التوفيق فى الحصول على ما تريد ٠

وقال سيمون تمبلار بامتنان :
ـ شكرا لك ٠

واستمر يبحث عما يريده طوال فترة الظهيرة فى نفس الشارع وفى شوارع أخرى ٠ وبصبر وجلد كان يدون اسم كل دكان يرتاده فى مفكرة صغيرة ٠ وكم كانت دهشته عندما ألقى نظرة على هذا العدد الضخم من المحلات التى ارتادها ٠ لقد استطاعت المدينة ٠ ليس فقط ان تعيد بناء نفسها من جديد بعد ما أصابها من دمار ولكنها احتفظت بالاثريات فيها كأن لم تمسسها يد بشر من قبل ٠ ورغم التحف الثمينة التى تمتد الى عصور سحيقة فان الكئوس التى تحمل اسم كئوس رومر كانت نادرة الوجود بصورة غريبة ٠ ويبدو أن ندرتها هى السبب فى خلو جميع محال التحف منها ولم تكن سمعتها مبالغ فيها فهى فعلا غالية وثمينة ٠ وفى آخر جولته شاهد بعضا

منها فى حجرة منزل استطاع أن يراها بوضوح. لابدان هذا المنزل لنبيل أو لرجل من أصل عريق · وتمنى لو جمعته المصادفة بهذا الرجل واستطاع أن يتعرف به عن قرب ·

ووصل سيمون تمبلار الى فندق فيير جارشتين ، أو فندق الفصول الاربعة كما يحب السواح أن يسموه ·

وقال للبارمان ملاحظا :

ـ الجو ليس لطيفا اليوم ، أليس كذلك ؟

ـ لا يا سيدى ·

قالها الشاب بلا مبالاة وبلا تعبير ثم تركه ومضى لحاله ·

كان جو الالفة لا يسود بين الجالسين وشعر سيمون تمبلار أنه لا يستطيع أن يصاحب أحدا أو يتحدث الى أحد وشعر كذلك أن لا سبيل الى تغيير ذلك الجو · وأخرج دليل هامبورج من جيبه وأخذ يطالعه ·

ولم يكن فى الدليل تغيير يذكر عن غيره من مثل هذه النشرات · ولكنه خال من تلك العيوب فى الاسلوب التى تظهر عادة فى النشرات الانجليزية والتى يبدو أنه يعهد بكتابتها الى بعض المدرسين المحليين دون مراجعتها من مواطنين مدنيين من الانجليز أو الامريكان وقرأ ملحوظة فى الصفحة الاولى تقول أن فرانز كولبن هو الذى قام بالترجمة · وكانت صفحاته الاثنان والثلاثون قد احتوت الوصف المعتاد للكنائس والمتاحف والآثار وقوائم بالمطاعم والملاهى وتاريخ مختصر عن نشأة المدينة التى أسسها شارلمان سنة ٨١١ قبل الميلاد ·

لم يكن سيمون تمبلار شغوفا بالتاريخ ولا بالمعلومات

التاريخية ولكن فقرة معينة استرعت انتباهه وقد جاء فى هذه الفقرة :

لقد سيطر القراصنة على « آلب » حتى سنة ١٤٠٢ وانتهت سيطرتهم عليها حين قبض على زعيمهم كلوز شتورت بكر وحكم عليه بالاعدام . ولا يعلم أحد حتى الآن مصير ثروته الطائلة من الذهب والفضة والمجوهرات وظل مصيرها سرا غامضا الى الآن . وقد قيل أنه ترك خريطة مبينا عليها مكان هذه الثروة وقد وقع عليها بالحروف الاولى من اسمه ولكن أحدا لا يعلم شيئا كذلك عن هذه الخريطة .

وتنهد سيمون تمبلار بحيث لم يلحظه أحد .

ربما كانت بقية من دماء الشباب هى التى تجعل نبضات قلبه تزداد عند قراءة مثل هذه الصورة الرومانتيكية ، ولكن لمحة النضوج طالعته من داخله حين استطاع أن يسيطر على انفعالاته ويأخذ الامر على أنه مجرد قصة مثيرة ومسلية .

وربما كانت القصة كذلك من نسج خيال فرانزكولين مؤلف هذا الكتيب .

واستمر سيمون تمبلار يطالع للكتيب حتى أتى عليه ولم تطالعه قصة أخرى على مثل هذه الدرجة من الاثارة . وفى نفس هذه اللحظات دخلت الى البار سيدة شابة وجلست الى احدى الموائد . ورمقها بطريقة تلقائية ولاحظ أنها شقراء اللون ولها وجه مليح وقوام ممشوق مما أشعره بالفرح والغبطة . ومن الاسهل تسميتها بفتاة ولكنها فتاة فى العشرينات وقد بدت عليها سمات نضوج هذه السن . ولم يستطع أن يحملق اليها أكثر من ذلك ، الا أن صوتها قد تناهى الى سمعه وهى تطلب كأسا من

الشمبانيا بلغةانجليزية ذات نطق أمريكي الا انها تنطقها بمقاطع المانية . وقد استطاع بنظرة فلسفيةان يتعرف على البلد التى أتت منها · واستطاع كذلك أن يستنتج أنه لابد أن يلحق بها أما بعض التجار الامريكان فى جولة حول أوروبا أو بعض رجال الصناعة الالمان — أوشىء من هذا القبيل . وقضى بعض الوقت يعلق الآمال على شىء طاف بخياله .

والآن ، وبينما هو يطوى الكتيب ويضعه فى جيبه استدار ناحيتها ورمقها بنظرة سريعة واذا به يلمحها تركز نظراتها عليه مباشرة ·

وقالت على الفور :

ـ أيمكنك أن تقدم لى يد المساعدة ؟

وابتسم وعلت وجهه مسحة من الحياء والخجل ولكنها مسحة غير ظاهرة بحيث لا يبدو فى صورة الحمل الوديع ولكنه تغلب على ارتباكه مباشرة حتى لا يفسر سلوكه على انه لا يشجعها على الحديث ·

ـ وكيف أستطيع ذلك ؟

ـ هل أنت مرتبط هنا ؟ أعنى هل تصحب معك زوجتك أو شىء من هذا القبيل ؟

ـ ولا أى شىء مما تتصورين ·

وشرحت قائلة :

ـ اننى أسأل فقط لاجنبك الوقوع فى مأزق بسببى ·

وتعجب بعض الوقت :

ـ هل تقصدين أنك بصحبة زوجك ـ او شىء من هذا القبيل

ـ لا ·· اذا كنت بصحبة أحد لما استطعت أن أسلك هذا السلوك . اننى فى مشكلة لرغبتى فى اصطحاب أحد

جمالا وبهاء · وعندما اقترب أحد الجرسونات منـا في سهرة الليلة · وأنا لا أعرف أحدا هنا · انني لا أرغب في اصطحابك لتقوم أنت بتحمل جميع النفقات وتسيء فهمي . ولن أسمح لنفسي كذلك بتحمل النفقات حتى لا أتسبب في حرجك · هل يناسبك أن نتصعلك ؟

أنه على كل الاحوال تجديد لا بأس منه · واستطاع أن يراها عن قرب ولاحظ أن ثيابها أنيقة ولكنها ليست غالية الثمن وأنها لا ترتدي شيئا ولا تتحلى بشيء مما يتحلى به أو يلبسه فتيات الليل عادة ، وربما كان ذلكمن العادات المحلية في هذه المنطقة ـ ولكن ما الذي سيخسره أذا ما ذهب معها الى آخر الطريق :

وقال :

ـ فلتسمحي لي بأن أطلب لك شرابا ثم نجلس ونناقش الامر معا ·

وحتى ذلك الوقت كانا الوحيدين في البار بأكمله · ولكن في هذه اللحظات دخل بعض الايطاليين الذين تبدو عليهم سمات التجار وجلسوا في هرج ومرج علـى الكراسي العالية التي تصطف أمام البار وأخذوا يناقشون بصوت عال أحوال السوق التجارية · وتحركت الفتاة برشاقة الى مائدة في أحد الاركان وتبعها سيمون تمبلار في التو · وأحضر الجرسون الشراب وأخذ تمبلار يصغي اليها ·

ـ أعرف أن هذا يبدو شيئا غريبا · ولكني سائحة أنا الاخرى وقد سمعت بأنه يوجد هنا شارع صاحب يفوق في همجيته حي مونمارتر وأريد أن أراه ولكني لا أستطيع ذلك بمفردي .

وقال :

ـ اننى لا أستطيع فهم ماسمعت : هل ترغبين فى احد اذن يرد عنك المعجبين والسكارى ٠

ـ هلا توقفت عن هذا الهراء ؟ اننى محبة للاستطلاع ليس الا ٠ والمرأة عرضة للاستغلال والابتزاز مادامت على قدر من احترام الذات ٠

وغمغم تمبلار قائلا :

ـ شكرا لك على هذا المديح الذى يتضمنه كلامك وسأكون سعيدا للغاية لاصطحابك الى هذا المكان ٠ وأعترف أننى شغوف برؤية هذا الحى أنا أيضا وان كنت لست على درجة كبيرة من الاحترام كمـــايدل مظهرى

وعكس وجهه وعيناه الزرقاوان تعبيرا ينم عن اعجابه بالفتاة ولكنها تجاهلت هذا التعبير بالرغم من أنها لاحظته وبالرغم من عدم تناسب الالوان التى تصبغ بها وجهها مع قوامها وشكلها الا أنها تنطوى على نفس هادئة على عكس مايظهر منها للرائى تماما ٠

وسألت قائلة :

ـ أنت غير مرتبط بأية مواعيد الليلة ؟ أو أنك تفضل ان نلتقى فى موعد آخر ٠

ـ الليلة بالتأكيد ٠ اذا أجلنا الموعد فربما زايلك شغفك أو حماستك ٠

وأخذ يتفحصها بنظرة يحاول بها تحليل شخصيتها والوقوف على خبايا نفسها ثم أضاف :

ـ أذا لم يضايقك سؤالى ، فما هى جنسيتك ؟ أنت تتحدثين الانجليزية بطلاقة ولكن لهجتك تشوبها بعض اللكنة وبعض التعبيرات الغريبة ٠

ـ حقا ما قلت فأنا نصف ألمانية ٠ لقد ولدت فى ميونيخ ٠ وأمى أمريكية ولكنها أقامت فى ألمانيا مع

-١

والدى أثناء الحرب الاخيرة · ولكنها كانت تتحدث معى بالانجليزية فقط ولهذا لم أنس اللغة مطلقا · وعندما اذهب الى مكان ما يختلط على الامر بحيث لا أعرف أى لغة أستعمل ·

ـ ولكنك ذكرت أنك سائحة ·

ـ لقدجعلتنى أشعر بحماقتى وأتحدث بغرابة كشخص من شيكاجو مضطر الى الاعتراف بأنه يزور نيويورك لاول مرة · فالمرء فى أوربا لا يستطيع أن يزور كل بلد من بلادها

ورد سيمون تمبلار بنبرة لها مغزى :

ـ ولا يحدث ذلك فى أمريكا فهناك بعض الاشخاص من نيويورك لم يسبق لهم أن زاروا بروكلين .

ـ لكم أود زيارة نيويورك بل وبروكلين أيضا · فأعتقد أننى سأحس بالراحة وبأننى أعيش فى وطنى هنا أكثر مما أحس بذلك فى هامبورج وذلك بعد كل ما سمعته عنهما وما رأيته فى الافلام الامريكية ·

ـ هل لازلت تقيمين فى ميونيخ ؟

ـ نعم · اننى أعمل هناك فى أحد شركات الملاحة وأنا أرد على خطابات من أمريكا طوال الوقت ·

ثم سرحت ببصرها كمن تذكر شيئا فجأة وقالت :

ـ ان اسمى ايفا ·

وتعجب هل هذا الاسم أيضا مزيف أم هو اسمها الحقيقى ولكنه لم يحاول ازعاجها واستطاع التغلب على انفعالاته ·

ـ وأنا اسمى برنار ·

لقد كانت رفيقا لطيفا بالرغم من جديتها وصرامتها · وكان تمبلار مسرورا للغاية لتعرفه بها فى هذا الوقت

بالذات فقد كان يكره أن يتناول طعامه بمفرده وبمجرد أن انتهيا من الاتفاق على أحد المطاعم استقلا سيارة أجرة ليضعا الخطط لسهرة المساء بينما يتناولان طعامهما وقالت وهى تقرأ فى قائمة الطعام :

ــ لابد من بعض حساء ثعبان الماء فانه واحد من الاصناف التى تشتهر هامبورج بها · الا اذا كانت الفكرة لا تروقك ·

ــ وما الذى تشتهر به أيضا الى جانب هذا الحساء ؟

ــ الخضروات والاعشاب ونوع من الزلابيــة والاراصيا

كانت رقيقة للغــاية وكان اختيــارها للطعــام موفقا · وأختارا بعضا من الدجاج المشوى وزجاجة من النبيذ بل أفخر أنواعه · وأثناء تناول العشاء وبفعل النبيذ الساحر توطدت صداقتهما ونضجت · وزايلها القلق والتلقائية ولكنها كانت مريحة الصحبة الى حد بعيد ·

وجلسا بجــوار احد النــوافذ الطويلة التى يعلوها الزجاج فاستطاعا أن يشاهدا المبانى والحوانيت ومداخن المصانع وقد أضفت عليهم الانوار الصناعية وسحر الليل جمالا وبهاء · وعندما أقترب احد الجرسونات منهما أشارت ايفا الى الخارج وتساءلت :

ــ ماهذا ؟

ــ انه جزء من ميناء هامبورج · ووراءه تماما يوجد المكان المسمى جراسبروك هافن ·

وهب سيمون تمبلار واقفا ·

ــ أنه ليس المكان الذى استطاع كلوز شتور تبكر الاستيلاء عليه ·

ـ بل أنه هو تماما ولكنه يبدو الان مختلفا تماما ٠
وسألت ايفا بينما رأس الجرسون تتحرك يمنة ويسرة لشرح المكان :
ـ عم تتحدثان ؟
ورد سيمون تمبلار :
ـ قبل أن نلتقى تماما كنت أقرأ عن قرصان قديم فى كتيب يعد دليلاعنهامبورج ٠وقرأتأنه ترك كنزا مختفيا فى أحد الاماكن ٠
والتمعت عيناها وتراقصت مقلتاها بتعبير أكثر مما كانت تعكسان من قبل وهى تعلق قائلة :
ـ ياللرومانتيكية ! حدثنى عن هذا الامر ٠
وأخرج الكتيب الصغير من جيبه وقرأ لها الفقرة التى أثارت انتباهه ٠
ثم أضاف قائلا :
ـ ولكننى خائف من أن المرء فى سبيل الحصول على ثروة ربما عرض نفسه لطريق تحفه المخاطر ٠
ـ وأنا عند رأيك وأعتقد أن عهد هذا النوع من المغامرات قد انتهى ٠
من بين جميع الرجال كان هو الذى لا يوافقها على رأيها
وقال لها على الفور :
ـ سوف نستمتع بوقتنا قبل كل شىء ٠ هل هناك شىء معين تريدين رؤيته فى ريبربان ٠
ـ كل شىء ٠
ـ ربما كان ذلك أكثر مما اتفقنا عليه ويكلفنا٠الكثير من الوقت ٠
ـ لقد سمعت أن النساء فى هذا الحى يمارسون المصـــــارعة .

ـ حسنا ، فربما كانت تلك بداية رومانتيكية وأقترح أن نحاول نحن كذلك تقليد هؤلاء النسوة ونستمتع بوقتنا ما استطعنا ·

كان حي ريبربان في هامبورج وكان يعنى شارع رجال الاعمال قد فقد مكانته منذ زمن بعيد وقد كان الملاحين يعتبرونه شارعا خاصا بهم . وأصبح هذا الحي بعد ذلك مثل حي مونمارتر في باريس بالنسبة للسياح والذى أصبح لا علاقة له بالباريسي المقيم في وطنه · وعلى طول الطريق اصطفت المنازل القصيرة والمحال المتنافرة الاشكال والانواع وبالرغم من الدمار ومن النيران التى اشتعلت في هذا الحى في الحرب الماضية الا أنه أمكن اعادة بناءه وعاد لمجده القديم وقد أضيفت اليه بعض الملامح الجديدة ·

ومن الواضح أن الشارع كان يضم آثارا بدائية ترجع الى نشأة الانسان وبين أبرز ملامح العصر الحديث ومن وسائل العرض البدائية الى دور السينما الحديثة ويجمع بين النساء اللائي يرتدين الملابس القديمة الطراز الى الملابس التى ترتفع الى ما فوق الركبة · كل شىء من الاحساس القديم الى أحدث المبتكرات ويستطيع الشخص أن ينفق الملاليم وأن ينفق الملايين ·

وجلس سيمون تمبلار وايفا في مواجهة احدى الموائد في مكان شبيه بالمسرح المتنقل · وقد نقشت الحوائط المحيطة بالستار بعدة نقوش تدل على العروض التى قدمت من قبل والتى ستعرض في القريب ·

وقالت ايفا بلهجة بدائية :

ـ سأشرب البيرة طوال الوقت · انها أرخص شىء يمكن طلبه · وهى دائما مضمونة حتى في أسوأ

الاماكن · ولن نشعر بالدوار عند أول رشفة ·

وقال سيمون تمبلار باحترام :

ـ أعتقد أنك أخترت أنسب الاصناف ···

واعتلت المسرح فرقة من فرق الاوبرا المتجولة ··

واصطف على المسرح عدد من الرجال يمكن تسميتهم بالاوركسترا ·· وأضيئت الاضواء الجانبية ودخلت امراتان من الناحية الأخرى للمسرح وتقابلتا فى منتصف المسرح وكانتا ترفلان فى ثوبين لونهما أبيض ناصع ألقيا بهما ثم قام الميكرفون المعلق فى المسرح بالتعريف بهما ·· وكانتا ترتديان تحت الثوب الابيض مجرد ثوب بكينى يظهر أغلب جسدهما · وقاما بالتقديم الاول ثم أمسكت كل منهما بشعر الاخرى وشرعا فى معركة حامية الوطيس ·

وبعد ذلك بدأ المشاهدون فى مراقبة مباراة ككل المباريات التقليدية من ألم وصراخ وزئير الا أن طبيعتهما الانثوية كانت تجعلهما أكثر قدرة على الانثناء والحركة واضافة أسلحة جديدة فى المعركة لا يعرفها الرجال ·· وبينما تحاول أحداهما دعك وجه الاخرى فى الطين وعندما تفشل كل منهما فى ذلك تمسكان بقطع من الطين وتلقى كل واحدة الاخرى بهذه القطع والتى ربما أنتثرت على وجوه الجالسين وهذا يفسر اتساخ الحوائط ووجود بقع عليها فى كل مكان · وهكذا تسير المباراة حتى تغطى كل منهما من رأسها الى أخمص قدمها بالطين· ·وتختفى فتنتهما تماما تحت هذا الثوب الكئيب .

وكان سيمون تمبلار يوزع اهتمامه بين هذه الفرقة الغريبة وبين ايفا وكان يحس بالدهشة لقلة الانفعالات التى ترتسم على وجه ايفا . كانت تبدو لامبالية ولا

منفعلة ولا مشمئزة ولا مشفقة ولا معجبة بهذا العرض النسائى الذى يجرى أمامها · ولا يمكن أن تصف أحاسيسها بأكثر من قولك أنها سعيدة الى حد ما · لم يرتسم على وجهها أى من الانفعالات التى تصور أن ترتسم على وجه امرأة اصطحبت معها رجلا لا تعرفه لمجرد تسهيل مهمة دخولها هذا الحى ·

وقال متسائلا :

ـ هل سنمضى فترة أخرى هنا ؟ أو هل سنتحرك خارج المكان ؟

وأجابت بنفس الثبات واللامبالاة :

ـ أعتقد أننا يجب أن نجرب شيئا آخر · هل تصدق اننى لم أر من قبل الستربتيز أقصد هؤلاء النسوة اللائى يخلعن ملابسهن قطعة قطعة ؟

وقال بنفس الجمود :

ـ أعتقد أن هذا يمكن تحمله أكثر من هذه المشاهد الغريبة ·

لاحظ سيمون تمبلار أن الستربتيز الالمان يتبعون نفس التقاليد للستربتيز الامريكان ولكن لها تقاليدها الخاصة بها وحركاتها المميزة لها · وبالنسبة للكثيرين فان دقات الطبول والحركات التى تؤديها الراقصات فان هذا أمرا· مسليا للغاية ومحل اقبال وتهافت ولكن بالنسبة لسيمون تمبلار فان شيئا من الرقص الهادىء المنسجم يشده أكثر من هذه الحركات الماجنة ·

والمشكلة فى ريبربان ليست هى العثور على مكان لمشاهدة هذه العروض وانما تحديد أى من هذه العروض تريد رؤيتها وأيها يستحق الرؤية أولا وأيها غير جدير بتضييع الوقت على الاطلاق · ولكن لكل عرض سحر

خاص بالنسبة لفئة معينة من الناس ولهذا يقبل الجميع على المكان · أما بالنسبة لسيمون تمبلار فلم يرق له المكان ولم يشعر فيه بالمتعة التى يبتغيها وكان العرض الذى شاهداه بعد ذلك هو نوع من الالعاب السحرية وقد حظى باهتمام واعجاب أكبر عدد من الناس وغص المكان بالمشاهدين من جميع الفئات والاعمار ·

ولم يبد أى اهتمام على وجه ايفا بل واصلت مشاهدة بقية العروض بنفس اللامبالاة التى شاهدتبهاالعروض الاخرى ـ لم يبد عليها الفزع ولا الاثارة ولكنها كانت مسرورة بطريقة يصعب على المرء ملاحظتها ·

وقال وهو يركز عليها أكثر مما يركز على اللاعبين وسألها :

ـ هل هذا هو ماكنت تتوقعينه ؟

ـ الى حد ما ·

ـ ولكن لا يبدو عليك أى انفعال ما ·

ـ هل كنت تتوقع منى ذلك ؟ ان المرأة العادية لا يبدو عليها الانفعال مثلا وهى ترى امرأة مثلها تخلع ملابسها أو أنك ترى غير ذلك ؟

ـ أن دهشتى البالغة لاصرارك على المجىء الى هـذا الحى ·

ـ فقط لاعرف ما يتحدث عنه الناس حين يتكلمون عن مثل هذه العروض · وكما ترى فان خبرتى بالحياة ليست كبيرة وأكره جدا أن يقال عنى أنى ساذجة ولكنى أعترف لك بجهلى بالحياة لانك لن تقابل أحدا من أصدقائى ولانى معك استطعت معرفة الكثير ·

لم يكن متأكدا من انها على نحو ما وصفت نفسها

ولكنه موقن تماما على وشك الدخول فى تفاصيل قصة مثيرة ·

وقال لها على الفور :

ـ والان ماذا تريدين اضافته لخبراتك ؟

ـ لقد سمعت أن هناك منزلا به بيوت صغيرة تقف فيها الفتيات فى النوافذ او على أبواب البيوت يستقبلون الزوار ·

واتجها الى هذا الشارع ولم يجدا صعوبة فى ذلك ، ولكن عندما وصلا الى الشارع وجداه محاطا بعدد من رجال البوليس واعترض احدهم طريقهما ·

وقال الشرطى فى لغة انجليزية سليمة :

ـ آسف جدا · لا مكان هنا للسيدات · والشارع مخصص للرجال فقط ·

وبعد ما غادرا الشارع قالت معلقة بعد مناقشة قصيرة مع رجل البوليس · ان الشارع ملىء بالنساء فعلا · اليس كذلك ؟

وقال سيمون تمبلار معلقا :

ـ ولكنهن يؤدين عملهن · اعلم طبعا كم يبدو المنظر غريبا لسيدة بريئة مثلك والنسوة تصطف هكذا كالحيوانات · ولكن هذا ما تحتمه عليهن طبيعة عملهن مما لا تستطعين فهمه او تقديره · ورمقته بنظرة متحدية فيها دفاع عن نفسها ومعلوماتها ولكنه تجاهل نظرتها كأنه يبحث لها عن مكان آخر تتطلع فيه الى مزيد من المعرفة والاطلاع على الجديد ·

وقالت آخر الامر :

ـ لابد من أن تكون هناك وسيلة ليستطيع الرجل أن يحظى بامرأة · وانت خبير لا شك فى هذه الامور ·

وتجاهل حديثها هذه المرة كذلك · واتجها الى احد الفنادق من الدرجة الاولى وجلسا فى أحد الاركان حيث تضاء الصالة بأضواء جانبية تضفى على المكان رونقا وبهاء ·

وبعد فترة من الصمت قال لها :

ـ آه لو كنت احد الملاحين فربما جربت حظى فى مغامرة ما ولتكن الوصول الى سر ذلك القرصان ·

كان المكان عاديا جدا · نساء وفتيات فى ملابس معقولة ورجال فى اواسط العمر يجلسون او يشربون او يحملق احدهم فى الاخر او يرقصون رقصات هادئة ·

وجلسا سيمون تمبلار وايفا صامتين لبعض الوقت ثم طلبا بعضا من البيرة · وبعد فترة قصيرة أقترب منها رجل يمسك فى يديه ببعض الورق ومقص كبير ووقف امامهما لبعض لحظات ثم قام ببعض الحركات على الورق سلمهما بعدها صورة لهما طبق الاصل · وابدى سيمون تمبلار اعجابه بالصورة واستمر الفنان يعمل مرة اخرى واذا بصورة من زاوية أخرى تبرز ملامحهما ابرازا جميلا ومتناسقا · والتف حولهما بعض الفتيات والشبان كل منهم يحاول ان يحظى بصورة من الفنان · وحينما انتهى الرجل من عمله انحنى انحناءة خفيفة وغادر المكان وربما مر المشهد على الكثيرين مر الكرام ولكن بالنسبة لسيمون تمبلار كان أمتع مشهد رآه فى تلك الليلة ·

وقالت ايفا معقلة :

ـ لم تعجبنى رسوم ذلك الرجل ولا حركاته ·

وفى تلك اللحظة لم يستطع سيمون تمبلار ان يفهم الفتاة التى يجلس معها · وتساءل فى حيرة :

ـ وماذا بعد ذلك ؟

ـ هناك عروض سينمائية خاصة ، أليس كذلك ، نستطيع أن نستمتع بها بمفردنا .

ـ هناك مثل هذه العروض لاشك فى ذلك ولكنى لا أعتقد انك راغبة فى رؤيتها .

ـ اذن نقوم ببعض النزهة سيرا على الاقدام . ولكن اود ان اعرف أولا لم لا تروقنى مثل تلك العروض .

ـ ربما كان من الصعب الوصول اليهم . خاصة فى هذه المنطقة .

ـ على الاقل نستطيع السؤال والاستفهام .

ـ والنفقات .

واتسعت حدقتاها .

ـ ولكننا اتفقنا على ان نتحمل النفقات بالتساوى . هل نفذت نقودك ؟ أو أنك لا تصدق أننى جادة فى عرضى ؟

وفتحت حقيبة يدها وامسكت ببضعة اوراق نقدية ضمت الى بعضها بمشبك وجذبت منها ورقة فئة المائة مارك .

ـ اليك بهذه وعندما ننتهى من نزهتنا ترد لى الباقى. اذا تبقى منها شىء .

ولم يحس سيمون تمبلار بالخجل وهو يضع النقود فى جيبه . وسارا فى الطريق مرة اخرى فقال :

ـ أعتقد اننا لو سألنا احد المارة لاستطاع ان يدلنا على المكان الذى نجد فيه ضالتنا .

واشارت قائلة :

ـ دعنا نسير فى هذا الاتجاه . انه يبدو شارعا جميلا وشاعريا .

ولم يرى فيها شاعرية اللهم تلك الظلمة التى تعمه والاضواء الخافتة التى لا تكاد تنير الطريق · وجعل نفسه فى وضع المستعد لاى مباغتة او هجوم · لقد بات يعتقد أنها دارت به فى كل تلك الطرقات والاماكن الغريبة لتطلعه على مفاجأة غريبةاو تجعله يلتقى بشىء مخيف · ولكنه على كل حال مستعد لاية احتمالات وأية توقعات فلم يستطع فى يوم ما ان يمنع شيئا من المفروض ان يقع او يتجنب مغامرة لابد أن يخوضها · ولكنه فى نفس الوقت اعد نفسه لاحتمالات أخرى ربما لم تكن فيها مفاجآت او مغامرات وأخذيعد العدة لانهاء كل ذلك وايقاف الفتاة عند حدها فلا يجب ان يتمادى المرء بدعوى التهذيب فى معاملة النساء الى ان يسلك بنفسه مسالك التهلكة · وهو لابد كذلك ان يضع حدا لمرواغة الفتاة التى تريد ان تمادى فى تفكيره وتوقعاته فلقد انتهى كل شىء فجأة انفتحت الرؤيا امامه وذلك حينما تشبثت الفتاة بذراعه فى ذعر وخوف ولم يكونا قد قطعا شوطا طويلا داخل حى ريبربان مرة اخرى ·

ولم تشر الى شىء معين · لا شىء سوى نافذة احد محال الرهونات ، الذى يقوم بتقديم النقود لمن يقع فى مأزق فجأة نظير شىء مادى يرهنه عنده حتى بدت فاترينة المحل خليطا غريبا من المصوغات والحلى والملابس وخلافه ·

وفى منتصف الفاترينة تقريبا ظهرت كأس من الزنك القاتم اللون · وقد حفرعليه الحروف الاولى « ك ·س » ·

وأخذ سيمون تمبلار من المفاجأة حين جذبته ايفا قريب من الفاترينة وقالت وهى لا تسيطر على تنفسها من شدة

ـ انها هى ، اليست هى ؟ الكأس التى ذكرت فى الكتيب الذى تحتفظ به فى جيبك !

وقال بطريقة اوتوماتيكية :

ـ لا يمكن ان تكون هى ٠

ـ ولكنها هى : انها كما وصفها الكتيب تماما الحروف الاولى من الاسم وكل شىء ، كل شىء !

وحملق سيمون تمبلار فى الكأس ٠ لم يعد يستطيع مناقشتها فيما تقول ٠ وانتابته نفس الحالة التى يشعر بها المرء حين يرى اسمه فجأة بين أسماء الفائزين فى يانصيب تنظمه مؤسسة عالمية ٠ انها حلم من احلام المرء بالغنى والثروة ولكنه حلم يعلم المرء انه لن يتحقق أبدا الدهر ٠ ولكن لطالما حظى بعض الناس بهذه الومضة الخاطفة من الحظ والتى لا تواتى الكثيرين الا باعجوبة ٠

ولكن فى هذه اللحظة بالذات ربما ابتسم له الحظ فجأة ٠ واذا حدث ذلك وتحقق الحلم فان فرانز كولبن سيكون أعظم مؤلف عرفته هامبورج ٠ ولكن لابد من بعض المعلومات الضرورية فى هذا الصدد ٠

ان مستر فرانك كولين (الذى كان يجب ان يشتهر باسم فرانك) كان من مواليد ولاية ميلووكى كما علم سيمون تمبلار وهى احدى الولايات الامريكية ٠ واحد المهاجرين لالمانيا وقد هاجر اليها وفى نفسه دوافع وآمال لم يستطع تحقيق الكثير منها ٠ واستطاع فرانك الشاب فى وطنه ان يجد وظيفة فى احد مصانع الاثاث الحديثة فى جراند رابيدز ثم تدرج الى صاحب معرض للمبتكرات الحديثة فى الاثاث ٠ وتلقفته احد مصانع الاثاث الكبيرة وارضت طموحه وعهدت له بمنصب كبير وتركت له اليد العليا فى ابتكار اشكال ورسوم جديدة فيه ٠ واستطاع

ان يزدهر فى منصبه ويصمم مبتكرات تخطف الابصار بذوقها وروعتها حتى وصل الى أعلى المناصب ٠

وحينما نشبت الحرب وجند فيها ايقن أن لا حياة له بعيدا عن الفن الذى عشقه فاتجه الى اوروبا ينشد فيها حظه من جديد ٠ ولكن حظه فى المانيا كان ضعيفا فلم يحظ الا بمنصب متواضع لا يمت للفن الذى يجيده بصلة ٠

وبالرغم من كل ذلك لم يشعر كولبن بالاخفاق ٠ ولم يضع وقته سدى بل كان باستمرار يدور حول ضالته. وكانت خبراته ومعلوماته تدور به فى طريق واحد واتجاه محدد . واستطاع أحد المولين أن يفتتح محلا لبيع الانتيكات واستعان بخبرات فرانك كولبن وفنه فى التصميم وأخذ يحول المعدن العادى الخالى من الجمال الى تحف نفيسة واشكال جميلة وانتيكات تبهر الانظار ٠ واستطاع ان يصنع اجمل التحف فكل الميداليات التذكارية التى قدمتها المانيا كانت من تصميمه ٠

ولكن جاء وقت عاد فيه اغلب هواة التحف والانيتكات الى مواطنهم الاصلية ٠ حتى السيرجنت كولبن كان عليه ان يعود ولكنه لم يجد فى نفسه ادنى رغبة فى العودة الى بلده الاصلى ٠ لقد جاهد وبنى مستقبلا مرموقا وارتبط برابطة ما بتلك المنطقة التى عاش فيها لبضعة سنوات ٠ وقرر أن يظل مقيما فى هامبورج ، وكان قراره سليما ٠ وسرعان ما استعين بخبرات فرانك لنشر هذا الفن على نطاق واسع لجذب السواح للمدينة ٠

وقد عكف كولبن على تأليف هذا الكتيب « الدليل الى هامبورج » ٠ وبالرغم من انه استقى المعلومات التى وردت به من مصادر أخرى ومنشورات سابقة، الا أنه

قام بتجميعها واعادة ترتيبها واستطاع ان يضفى عليه من فنه وروحه بحيث اصبح مرجعا مفيدا لمن يريد معرفة كل شىء عن المدينة · ولكن قيمته الحقيقية تكمن فى عبارة وردت بالكتاب وهى :

ولقد قيل انه اخفى خريطة لكنزه فى قاع كأس من الزنك · وقد حفر عليها الحروف الاولى من اسمه ولكن لم يمكن العثور عليها ابدا ·

وقد سأله صديق له يدعى اورميستر عندما رأى اصول كتيبه قبل أن يقوم بطبعه :

- اين قرأت عن ذلك يا فرانز ؟

وقد كان يناديه بفرانز لانه لا يمكن أن يسمى المانيا او مهاجر الى المانيا الا باسم المانى ثم اضاف اورميستر قائلا :

- لقد عشت هنا طوال حياتى ولكن هذه هى المرة الاولى التى اسمع عن تلك الرواية ·

واعترف فرانكى بفرح :

- لقد قرأت عن هذه القصة يا سيدى · ولكنها أهم فقرة فى الكتاب · تذكر ان اى مرشد لابد ان يحتوى على نوع من الاثارة · فالسائح لا يصدق ما ترويه له اما ما تنقله الكتب فسيصدقه لاشك فى ذلك . ولذا فعندما تريد اجتذاب سائح لا تحدثه عن شىء ولكن قدم الكتيب له .

ولم يضع هر اورميستر الوقت بل استغل هذه القصة احسن استغلال وحتى يروج محله وتزدهر مطبوعاته قال على الفور لفرانك :

- انك رسام وصانع تحف ماهر فهيا تشرع فى صنع عدد من هذه الكئوس ·

وقد باعا عددا من هذه الكئوس فى فترة وجيزة وكانت

المبيعات من هذه الكئوس بكميات وفيرة حتى أن السائح لم يكن يسأل عن شىء سوى ان يشترى كاس القرصانفمن الجائز ان يسعده الحظ بالعثــور على الخريطــة التى توصله الى الكنز ·

وطبعا كان السائح يفاجأ عنــد كسر الكأس بأنهــا لا تحوى شيئا سوى حفنة من التراب او الهواء · وعندما يعود المشترى ويحتج على أنه قد خدع بما اشتراهفان البائع لديه من الحجج ما يقنع بها المشترى ريجعله راضيا ويسكت صوته · ولم يخامر احدهم الشك فى ان المسألة مسالة حظ ليس اكثر ولا أقل · وبعد ان كون اورميستر وفرانك كولبن ثروة طائلة من هذه الكئوس اقلعا عن ذلك واكتفيا بما حصلا عليه من ربح ·

وعلق سيمون تمبلار قائلا :

ــ اذا كانت هذه الكأس هى كأس كلوز شتورت بكر الاصلية فلم ظلت هنا ؟ ولم يكتشفها احدهم ويشتريها ؟ واذا كان أمرها كذلك فلم يعرضها صـــاحب الحانوت للبيـــع ؟

وردت ايفا على الفور :

ــ ربما لم يسمع بقصة الكأس · لم يعرف صاحب حانوت صغير كهذا كل شىء ؟ ولم تفترض ان كل من يمرون بالمحل يعرفون سر الكأس ؟ اذا مررنا بالامس بدلا من اليوم قبل ان تقرأ هذا الكتيب هل كنا سنتعرف على الكأس ؟ اننى لن اكتفى بالسخرية من الكأس واتركها كما هى !

وخلصت ذراعها من قبضته كأنها تتلخص من شىء اصبح غير ذى قيمة واتجهت الى باب الحــانوت · وانفتحت الابواب بعد ان صدرت اصوات اجراس معلقة

بها وظهرت الاضواء من الداخل ومن خلال الزجاج استطاع سيمون تمبلار ان يلمح المعروضات بوضوح بعد ان ازيحت الستائر ـ وكان صاحب المحل رجلا مسنا علمته مهنته قلة الحركة · وكان الرجل على استعداد لدفع اية اموال للعملاء نظير تقديم الضمانات الكافية مقابل النقود التى يريدون اقتراضها ·

وفى نفس الوقت استطاع سيمون تمبلار ان يلمح ايفا بالداخل وقد بدت عليها انفعالات الغيظ والحنق وسمعها تقول بالالمانية بينما يدخل الى المحل :

ـ هل جننت ؟ ثلاث مائة مارك ـ لشىء قديم مستهلك كهذا ؟

وقال صاحب الدكان كانه يعيد قطعة من المحفوظات ·

ـ انها اثرية جدا · انها ترجع الى عهد قديم · ربما الى القرن الخامس عشر ·

ـ اذن فهى قديمة جدا كذلك ومستهلكة · سوف ادفع مائتين لا غير ·

ـ لا يمكن ذلك ايتها السيدة الكريمة · اكراما لك ساكتفى بمائتين وتسعون جنيها ·

وامسك سيمون تمبلار بالكأس وتفحصها بامعان · وحكما بوزنها استطاع أن يدرك انها مجوفة للغاية وان قاعها ثقيل للغاية · ودرس بناء الكأس والختم الموجود عليها بينما المحادثة تدور بين البائع وايفا ·

ـ مائتين واربعون لا غير · ولن ادفع مليما فوق ذلك !

ـ حسنا · ولكنى قبلت ذلك لانك جميلة للغاية وأنا عجوز جدا ومتعب كذلك ·

أخرجت أيفا النقود من حقيبة يدها ووضعتها أمام البائع واختطفت الكأس من يد سيمون تمبلار وخرجت

مسرعة من الحانوت ·

وتبعها واستمر يسير الى جانبها عدة امتار فى حى ريبربان مرة أخرى حيث قادته الى مطعم ليلى كئيب · وتبعها الى أحد الاركان حيث طلبت بعض ساندويتشات لحم الخنزير والبيرة لهما · ووضع الكأس امامها فوق المنضدة واخذت تتأملها كانها كأس فازت بها فى احد المباريات ·

وقالت بعد لحظات :

ـ دعنا نفتح الكأس ·

وأجابها على الفور :

ـ سوف احتاج لعدة معينة للقيام بذلك · ان القاع ملحوم بنوع من القصدير · ولا استطيع تكسيره بشوكة عادية ·

ـ تستطيع كسر عنق الكأس ·

ورفع حاجبيه فى دهشة :

ـ بعد كل ما دفعتيه ثمنا للكأس ·

ـ اننى لم اشتريه لاضعه كتحفة · اننى لا استطيع الانتظار · اكسره على الفور :

ـ ما دام هذا أمرك فسأفعل ما تريدين ·

وأمسك الكأس فى يديه واخذ يلويه ويثنيه · وانكسر من عند العنق دون مقاومة كبيرة من المعدن الذى استهلكه الزمن · وفى العنق استطاعا ان يرى فتحة يمكن حفرها بشوكة ·

ووجدا قطعة من الورق المقوى ملفوفة وقد علتها البقع بفعل الزمن . وأخذ سيمون تمبلار يفك اللفافة بعناية فائقة · حتى الحبر الموجود فوق الورقة قد أصابه الزمن حتى استحال كلون الصدأ ولا يمكن فك رموزها الا بعد

مشقة وعناء وكانت الحروف مكتوبة بالطريقة القوطية ·

وأخذ سيمون تمبلار يفك رموز الورقة رمزا رمزا او حرفا حرفا بصعوبة انتهت به الى الغاز لم يستطع معرفتها ·

وقال بنبرة شاكية :

ـ اننى أجيد الالمانية ولكننى لا أستطيع معرفة شيء مما يدون أمامى فبحق السماء ماذا تعنى تلك الالغاز والاحاجى ؟

وقالت ايفا بينما تنحنى الى الامام حتى اقتربت من كتفه :

ـ انها مكتوبة باللغة الالمانية القديمة لاشك فى ذلك · قد كتبت هذه الرموز منذ أكثر من خمسمائة سنة مضت ! اما ترجمتها باللغة الالمانية الحديثة فهى هذا هو المكان الذى أخفيت فيه كنزى ·

هل تستطيع قراءة بقية الورقة ؟

كانت خريطة غريبة ، أو مجموعة من الرسوم والخطوط البيانية كما كانت تقضى التقاليد القديمة · وفى ركن من أركان الخريطة رسم نهر به عدة سفن وكنيسة معروفة واثنين من المخازن القديمة وسقفا عاليا لبناء غير واضح المعالم · ورأى سيمون تمبلار أكثر من ذلك وبينما يحاول أن يحل الرموز والرسوم الموجودة أمامه فى النصف الاخر من الخريطة اذا بايفا تمسك بارسم من بين يديه وتدسه فى حقيبة يدها بسرعة وحدة ·

ـ سوف أحاول قراءتها فيما بعد ·

وأبدى سيمون تمبلار دهشته وتعجبه ·

ـ ألم تكونى شغوفة الى حد عدم القدرة على الانتظار ؟

ـ فعلا · ولكنك أطلعت على أشياء كثيرة ـ ربما أكثر من اللازم ·

ـ هل أنت خائفة أن أسبقك الى حيث الكنز وأعثر عليه بمفردى ثم أحرمك من نصيبك منه ؟

فقالت بغضب :

ـ نصيبى ؟ ولم تحصل على بعض الثروة ؟ هل لمجرد أنك قمت بكسر الكأس ؟ لقد اشتريته بنقودى الخاصة !

فرد ببطء :

ـ اننى أعتقد أننا اتفقنا على أن نتقاسم ما فى هذه الليلة نصفا بنصف أو هلا نسيت اتفاقنا السابق ؟

وابتعدت عنه كمن تحاول الدفاع عن نفسها ·

ـ لقد كان ذلك فيما يختص فقط بالطعام والشراب وثمن الملاهى والعروض ولا شىء أكثر من ذلك · ان الكأس ملكى أنا · دع من تريد يذهب الى صاحب الحانوت ويسأله عمن دفع له ثمن الكأس ·

ـ لم يكن بك حاجة الى ذلك · ولقد اعتقدت أنك قمت بدفع المبلغ لمجرد أنك توليت النقاش مع الرجل ولم يكن هناك داع لان أقحم نفسى فى الحديث ·

ـ لم أطلب منك أن تشترى الكأس · لقد قررت ذلك بنفسى · ومن رأى الكأس أولا ؟ أنا الذى رأيته · لقد كنت تسير ولا تعير التفاتا له ولم تقع عيناك عليه اذا لم أسترع انتباهك وأستوقفك · وحتى بعد ذلك لم تكن تصدق أنها الكأس الحقيقية · اننى أنا التى ذهبت الى البائع وأنا التى اشتريت !

وللحقيقة والتاريخ كانت تلك أول مرة يحس بها القديس بالارتباك وبأنه يفقد قدرته على الاقناع والمناقشة · ولم يكن هناك شك فى انها تعنى ما قالت

بالحرف الواحد وانها تصر على التمسك به ٠

وحاول مرة أخرى بطريقة أكثر اقناعا :

ـ وكيف تأتى لحماسك أن يتوقد على هذا النحو اذا لم أطلعك على الفقرة الموجودة فى الكتيب الذى حصلت عليه ؟

وردت بانفعال :

ـ اذا كان الأمر كذلك فمن حق الآلاف الذين قرأوا هذه الفترة أن يشاركونى الكنز . بل من حق مؤلف هذا الكتيب كذلك بصفته الذى أعلن عن وجود الكنز وأشار اليه ولكن الامر مختلف عن ذلك تماما ٠

لو تسنى لفرانز كولين أن يعيش حتى الآن لكان فخورا أيما فخر .

ان سيمون تمبلار يستطيع اسكاتها اذا لم يكن بالاقناع فباستعمال يديه وعضلاته ولكنى حتى الآن لم يحاول اللجوء الى شيء من هذا فلازالت روح الدعابة والمرح مسيطرة عليه وهو يجد فى الامر تسلية ومتعة لاشك فى ذلك ٠

وقال سيمون تمبلار :

ـ وهو كذلك ٠ اليك نقودك التى تستحقيها كما اتفقنا على المناصفة ٠

وأخرج بعض النقود من جيبه وعد لها نقودها ودفعها ناحيتها ٠

فلتذهبى الى طريقك وكفى شراء مزيد من الكئوس ٠

وأخذت النقود دون تعليق ٠ كأنه حق مكتسب ووضعتها داخل حقيبتها بلا مبالاة ٠ لم تكن على استعداد للمباسطة أو الانطلاق معه ومجاراته فى سلوكه ٠

وقالت بينما تقبض بيدها على الحقيبة قبضة فولاذية لا يعادلها الا الاصرار القريب الذى ارتسم على وجهها ٠

ــ والآن دعنى أخرج . اذا حاولت أن تستوقفنى أو تتبعنى أو تمنعنى بوسيلة ما فسوف أبلغ البوليس فى التو ٠

وبلغ السيل الزبى بسيمون تمبلار . ولم يعد يستطيع السيطرة على سلوكه ٠ ولو كان غريمه رجلا لاستطاع أن يجد حلا لوقاحته ولكن أن يحاول استعمال القوة مع سيدة وفى مثل هذا المكان المزدحم أو الشارع المضىء الغاص بالمارة لن يكون سوى دعوة لتدخل أكبر عدد ممكن من المدافعين وتحويل الامر الى معركة حامية ٠

وتحرك جانبا وفى التو أمسكت هى بنصفى الكأس بين يديها كمن يحمل شيئا عزيزا عليه وسارت خلفه

وقالت بجمود :

ــ شكرا لك على مساعدتك لى فى الخروج الى الطريق العام ٠

وغمغم بنبرة لابد انها وقعت وقع الصاعقة عليها :

ــ شكرا لك على أنك استطعت أن تصحبينى للخارج ٠

وراقب انفعالها محاولا ان يعرف المزيد عن هذه الشخصية الغريبة التى تقف أمامه ٠

ودفع فاتورة الحساب واندفع الى الخارج ولكن ما أن وصل الى الشارع حتى كانت ايفا قد اختفت تماما عن الانظار ٠ ولم تكن تلك الخاتمة شيئا مما توقعه أو وضعه فى حسبانه ولكنه كان فيلسوفا يستطيع تبرير ما يحدث أمامه من أفعال بحيث أدرك أن الحياة مليئة بالمفاجآت . ولم يكن الليل قد أرخى ستائره تماما على الكون وأحس أن وقته لم يضع سدى فهناك مهام أخرى أتى من أجلها

الى هامبورج ·

وعاد مرة أخرى الى المطعم وطلب بعضا من البيرة وأخذ يراقب المكان بما فيه ومن فيه · وبعد لحظات أقبل الرجل الذى قابله من قبل ومعه مقصه اللامع · وتركه القديس يتجه نحوه ثم أخرج الرجل رسما آخر من جيبه ، شيئا مختلفا عما رآه سيمون تمبلار من قبل · وحاول أن يلفت نظر سيمون تملار لذلك الرسم ·

ـ هل هذا بعض أعمالك القيمة ؟

ـ نعم ، ان هذا من صنع يدى ·

ـ هل تتذكر هذا الرجل ؟

وبدت امارات الخوف على وجه الفنان وهو يطلع على الصورة التى شهرها سيمون تمبلار فى وجهه ·

ـ من الصعب ذلك · ان المرء يرى عشرات النساء والرجال ولا يستطيع تذكر جميع من رآهم · هل هو صديق لك ؟

ـ لقد أرسل الصورة لاحد أصدقائى وعجبت أين استطاع رسمها · هل استطاع ذلك عند أحد الرسامين ممن تعرفهم ؟

وأصبح وجه الفنان باهتا لا حياة فيه ·

ـ ان المرء لا يعرف كل شىء مما يدور حوله · آسف لقد نسيت كل ما يتعلق بالامر · آسف مرة أخرى ·

ووضع سيمون تمبلار ورقة من فئة المائة مارك على المائدة ·

ـ ألا تستطيع تذكر الامر اذا حاولت ذلك ؟

وأخذ الفنان الصورة المنفصلة عن بعضها ولصقهما على احد الكروت ثم أزاح النقود من أمامه تجاه سيمون تمبلار وقال :

ـ يا الهى · لقد دفعت لى الكثير بل وزيادة · ولكننى آسف كل الاسف أنى لن أستطيع عمل شىء لك · ولا أود كذلك أن أثير القلاقل والمشاكل بالنسبة لاى شخص · لقد تعلمت فى هذا الحى الكثير وأهم ما تعلمته هو أن أهتم بشئونى الخاصة ولا أدس أنفى فى شئون الغير ·

واتسعت ابتسامته مرة أخرى وهو يغادر المكان ·

وأدرك سيمون تمبلار انه قد حظى بكل ما يريده من هذه الليلة ولا طلب المزيد واتجه الى بيته ·

وفى صباح اليوم التالى ، وأثناء تناوله لطعام افطاره فتح كتيب دليل هامبورج واتجه هذه المرة الى الفصل المكتوب عن « هامبورج القديمة » · كان اليوم رطبا وباردا بحيث يحلو الجلوس فى مقعد مريح ولا يستحب الخروج من المنزل ولكنه سرعان ما قرر الخروج فارتدى معطفا ثقيلا واتجه الى الخارج قبل أن يغير رأيه · واتجه الى الطريق الذى أشير اليه فى الخريطة فسار فى الطريق المؤدى الى سانت شارنين حتى يصل الى القصر الريفى ومنها يتجه الى قناة نيكولاى · ولكن ما من شىء يراه أمامه يطابق الصور التى أطلع عليها فى الخريطة ·

وبعد فترة راحة لتناول طعام الغذاء اتجه ثانية الى سانت نيكولاى متجها الى كلين ميكاليسكر ثم الى كنيسة سانت ميتشيل أو دير ميتشل كما يسميها أهل البلدة · والتى لا تزال جزءا من معالم البلدة الاساسية · ولكن بعض المعالم الاخرى للحى قد تهدمت بفعل القنابل ولازالت مساحات كبيرة من الارض فضاء واسعا وأن كانت بعض المبانى الحديثة والحوانيت قد شيدت أخيرا وعند نهاية طريق مرصوف بالمنازل وجد كنيسة أخرى ولكنها كانت عبارة عن هيكل قد دمرته الحرب ولم يبق منه سوى بقايا متآكلة · ثم اتجه ثانية الى هويتن وراوده

بعض الامل المشوب بالحذر حينما لمح عدة مبانى صغيرة متراصة الى جوار بعضها · وكان هذا هو المظهر الوحيد لبعض الاشياء التى وردت فى الخريطة ولا شىء آخر يؤكد حدسه ولذلك فقد أخذ يدخل فى طرق جانبية ومتقاطعة حتى يمكن أن يجد باقى التفاصيل التى وردت فى خريطة الكأس ·

وضحك فى سره عندما تخيل ان تكون النتيجة شيئا آخر خلاف ما توقعه · وبدون أن يستفيد من الحروف الهيروغليفية التى لم يستطع قراءتها استمر يجوس خلال المدينة بلا هدف لعدة أيام دون أن يجد كنيسة ومنزلا بدائيين كما أوضحهما الرسم الذى شاهده لعدة ثوان فقط · ان الوصف يشمل هامبورج كلها ولم يحدد مكانا منها بالضبط · وربما كان المكان المطلوب هو احدى القرى فى شمال ألمانيا فى مكان ما على طول سلسلة جبال الالب · انه ببساطة انما يقوم ببعض التمرينات الرياضية ويستمتع ببعض الهواء النقى ليس الا والوقت يمر ولابد من عمل شىء أكثر فائدة ·وبعد كل ذلك يخرج من المدينة بخفى حنين · على كل لا بأس فهو لم يأت للمدينة سعيا وراء كنز مدفون فى مكان مهجور وانما أتى وراء أحد الرجال ، رجلا يريد معرفة المزيد عنه ·

وركز ذهنه فى احتمالين لا ثالث لهما :

أولهما ان الرجل كان شغوفا بالانتيكات والتحف ·

وثانيهما ـ أن هذا الرسم الذى وجداه فى الكأس ليس الا اهداء من الرجل لحفيده له وان اعلانه عن هذه الثروة ليس الا من قبيل الدعابة والطرائف التى تجذب القراء والسواح · وبالرغم من ذلك فان سيمون تمبلار لم يحاول أن يكتفى بهذه الاحتمالات بل منى نفسه بأنه يسير وراء هدف حقيقى ·

وتذكر سيمون تمبلار حديثه التليفونى مع هاميلتون الذى تصل به من واشنطن ومادار بينهما من حديث ان قال تمبلار لهاميلتون :

ـ اننى لم أعدك بالعودة فى وقت قصير ثم أننى أقوم بأعمالى الخاصة وأستمتع بوقتى ، لماذا تتدخل فى شئونى الى هذا الحد ؟ وهل هذا الرجل خطير ومهم لهذه الدرجة ؟

ـ ورد عليه هاملتون يتأفف :

ـ اننا نتقاسم الرأى والمسئوليات · ان هذا الرجل مهم للغاية · وتذكر أننا لم نستطع معرفة كل شيء عنه فاذا عثرت عليه فربما حققنا الكثير من وراءه · اننا لن نستطيع الحصول على شيء طالما لم نتأكد من وجوده أو وفاته ·

ـ أننى جاد فى البحث يا صديقى وأعتقد أننا سنوفق فى مساعينا ·

ـ ضع فى اعتبارك يا بارنار الثروة والجاه · اننى أعتمد عليك كل الاعتماد فلا تشعرنى باليأس ·

ـ وهو كذلك يا صديقى · الى اللقاء ·

وتعب سيمون تمبلار وأصابه الملل من السير بلا هدف · وراح يجر رجليه جرا وهما لا تقويان على حمله · واتجه الى فيير جارشين مرة اخرى ليحصل على بعض الراحة وعلى مهلة للتفكير ·

وهناك ، وفى نفس الركن الذى اتلاه منذ اربع وعشرون ساعة كانت ايفا بشحمها ولحمها تحتل احدى الموائد ·

ونظرت ناحيته واستطاعت أن تراه ، وابتسمت ابتسامة فيها دعوة ونداء بعكس الحالة التى ودعته بها ·

ولكن سيمون تمبلار تماسك فهو ليس بغرير أو ساذج ليقع في حبائلها مرة أخرى ·

واتجه ناحيتها وهو ينوي أن يرد لها اهانة الامس · ووصل الى مائدتها وكأن بينهما موعد سابق وأنه رآها لتوه ولم يفكر فى الامر للحظات · وقال لها بنبرة فيها تأنيب :

ـ هل سنتقاسم النقود مرة أخرى ، أو هل سنتصعلك أم أنك تنوين شراء بعض الاشياء ؟

وقالت بخجل :

ـ ارجوك اجلس وتناول بعض الشراب ·

وطلب كأسين من الويسكى الدوبل وتركها تكمل حديثها وهو يحاول التظاهر بعدم الاهتمام واللامبالاة ·

وواصلت حديثها قائلة :

ـ لقد تمنيت أن تعود مرة أخرى الى هنا · ان الخجل الذى احسست به بعد ليلة امس قد جعلنى احملق فى سقف الحجرة طوال الليل وقد جافانى النوم · ان المال يصيب العقل بلوثة ويذهب بعقل الانسان وتفكيره ومنطقه · هل تفهم كل ما قلت وهل أطمع فى عفوك وغفرانك ؟

ورد القديس بهدوء ·

ـ هذا يتوقف على عدة أمور · كيف ستعوضينى عن أهانة الامس ؟ وما هى خططك ومشرروعاتك ·

ـ لقد وجدت المنزل بنفس الاوصاف التى جاءت فى الخريطة · لقد استطعت الوصول بسهولة ولم أعانى مطلقا ·

وجلس فى ذهول ·

ـ أين ؟

ـ فى سانت باولى · لقد قمت بعدة استفسارات وعلمت أن هذا أقدم جزء من هامبورج · ولذا اتجهت اليه وعثرت على ضالتى · ولكن البيت غير معروض للبيع ·

ـ من المحتمل جدا ·

ـ لقد طرقت الباب فعلا · وكان الرجل الذى يشغل المنزل كئيبا للغاية ورد على فى فتور وبرود · وقال : أنه سعيد هنا ولا ينوى أن يبيع منزله لاى شخص مهما كان الثمن المعروض عليه ومهما كانت المغريات · وكدت أيأس وأترك الرجل لحاله وأغادر المكان ولكن بريق المال يا عزيزى هو ما دفعنى الى مواصلة الحديث والمناقشة وراودتنى فكرة مذهلة بينما أناقش الرجل وذكرت له اننى من احدى شركات السينما ، وانننا نريد استئجار المنزل لمدة قصيرة لتصوير بعض اللقطات ·· وحينئذ انفرجت أسارير الرجل وأصبح أكثر قابلية للنقاش وبدأ الامر ينال اهتمامه ·

وأحضر الجرسون شراب ، ورفع كأسه وازدردها دفعة واحدة كأنما لا يريد أن يضيع الوقت فى غير الحديث ·

ـ وهل وصلت الى اتفاق ما ؟

ـ نعم و لا · لقد تحدث كثيرا عما سيسببه له تركه المنزل من ازعاج والاشياء الشخصية التى عليه أن يحزمها لاستعماله الشخصى خارج المنزل ثم التلف الذى ربما يحل بالمنزل وبالاثاث · وذكر أمه التى سيزعجها جدا هذا الرحيل · وأنه لا يهتم بالمال نظير هذه القلقلة والمشقة · وبعد جهد جهيد وافق على تأجير المنزل لمدة

أسبوعين فقط نظير خمسين ألف مارك ولم أستطع أن أثنيه عن رأيه ٠

وصفر سيمون تمبلار صفيرا ينم عن الدهشة ٠

ـ اثنا عشر ألفا وخمسمائة دولار ـ ان هذا المبلغ يساوى نصف الثمن الذى يستحقه شراء المنزل ٠

ـ على الاقل الربع ٠ ولكنه تأفق وأظهر ضيقه الشديد وأن هذه الايام القليلة التى سيترك فيها المنزل هى بالنسبة له أعوام كاملة وانه لايضحى بترك منزله الحبيب مقابل مبلغ أقل مما طلبه ٠ وذكر أن الامر بالنسبة لشركة سينمائية مسألة تستحق التضحية فسيكلفها بناء ديكور بشكل المنزل مبلغا أكثر مما ستدفعه كايجار له وربما لم يوفقوا فى عمل ديكورات تشبه المنزل وأن الامر يستلزم دفع هذا المبلغ البسيط بالنسبة لامكانيات شركة غنية كشركات السينما ٠ وأرى أن شيئا لن يستطيع أن يزحزحه عن رأيه أو يعدل من أفكاره فهو صلب الرأى عنيد للغاية وهكذا شأن الالمان فالثبات على الرأى عندهم عقيدة راسخة ٠

فرد سيمون تمبلار قائلا :

ـ وأنا لا يداخلنى الشك فى أنك تجيدين المساومة ٠ وعلى ذلك فأنت تعتقدين أن الصفقة رابحة وستقدمين على دفع الثمن المطلوب ، أو أنك تفكرين فى أمر آخر ٠

ـ لقد طلبت منه مهلة من الوقت لاستشير المنتج والممول . وكان لابد أن استشير أحدا فى الامر . وهأنذا قد أخبرتك بجميع التفاصيل . اننى مجرد فتاة تعمل فى احدى الشركات ولاأستطيع أن أوفر المبلغ المطلوب وربما بلغت جميع مدخراتى عشرة آلاف مارك وليس لى أصدقاء

أومعارف أغنياء . لقد كنت حمقاء عندما تصورت أنني استطيع القيام بمشروع كهذا بمفردي دون معونة احد ·

وحملق فيها مفكرا · ماذا تريد بالضبط · هل هي خدعة أخرى ، أم استعراض آخر لقوة تأثيرها عليه ولقوة تأثير جمالها ·

ـ اذن فأنت تريدين العودة الى اتفاقنا القديم · أعني أن نتقاسم النفقات بالتساوي فيما بيننا ·

ـ هذا اذا صفحت عني وتناسيت اهانتي · وعندئذ سيكون من حقك مقاسمتي في الكنز حين نعثر عليه ·

وهز رأسه باصرار ·

ـ اننا لم نعثر بعد على كنز ما · ولكن اذا أردت أن نبدأ ثانية من جديد بحيث أضيف أربعة أضعاف المبلغ الذي ستدفعينه فعندئذ لن يكون لك الحق في نصف الغنية سوف نوزع الكنز على أساس ثمانين في المائة لي وعشرين في المائة لك ·

وزاغت عيناها وظهر فيهما التأثر والجزع وحاولت مداراة انفعالها بأن غطت عينيها براحة كفها ·

وقالت بعد فترة صمت :

ـ وهو كذلك · انها غلطتي · ولكن ليس من المعقول أن أتمادى مع عنادي وأترك الموضوع برمته وقد وصلنا الى ما وصلنا اليه وقطعنا شوطا طويلا في سبيل العثور على هدفنا · ومن ثم فلا مناص من القبول ·

وقال القديس باحساس المنتصر :

ـ آمل أن يكون في ذلك درسا قاسيا لك · ولكن قبل أن نترك هذا الامر اريد أولا أن أرى المنزل بنفسي وأتحقق قبل كل شيء من أنه المنزل المقصود · هذا اذا كنت تثقين في

الان وتعلمين تماما اننى لن آستأثر بالكنز لنفسى وترجعين بعد كل ذلك صفر اليدين ٠

ـ هل لازلت تشك فى أننى أثق بك وأننى نادمة على ما بدر منى ٠

ـ اننى دائما أحب أن أضع النقط فوق الحروف

ـ اننى رهن اشارتك ٠

آه ، لقد عادت للكلام المعسول مرة اخرى ، ولكنها لا تعلم من أنا وأننى أستطيع أن أقاوم جمالها وأغاليه ولكن انها حواء اذا ما استنفذت أساليبها المنطقية فى الاقناع والايقاع لجأت الى منطق جمالهـا تستحثـه وتشحذه لقهر الرجل والتغلب عليه وهى غالبا تفلح فى هدفها ٠

وانتبه من أفكاره وقال :

ـ اذن اتفقنا على أن أرى المنزل قبل كل شىء ٠

ـ سأريك اياه حالما تحب ٠

فرد سيمون تمبلار بحماس :

ـ ولم لا نبدأ الآن . ادفعى ثمن المشروبات ودعينا نغادر المكان الان ٠ فالان دائما أحسن من الغد ٠

ـ وهو كذلك ٠ فلنتجه الى المنزل وآمل أن يكون هو نفس المنزل الذى نبغيه ولو أنى متأكدة من ذلك ٠

ـ هيا بنا ٠

وخرجا من البار واستقلا سيارة للاجرة ٠ وأخذت تعطى التعليمات للسائق ليتجه فى الطريق الذى تريد وسمع من بين ما قالت « سانت باولى هافستراس » ٠ وبدا الطريق أول الامر كأنما يقود الى حى ريبربان مرة أخرى ولكنه انحدر ناحية النهر وحرس السفن ٠ وعندما توقفت السيارة وترجلا منها استطاع أن يرى كنيسة

صغيرة ولكنها ليست كنيسة مميزة أنها كأى كنيسة أخرى فيها شبه بالكنيسة التى جاء رسمها فى الخريطة ·

وقالت ايفا :

ـ ان المنزل فى الطريق الذى أمامنا فى ضاحية بانسبرج بالتقريب ألا تستطيع مقارنة المكان ؟

ولم يحاول أن يسأل اية أسئلة متعلقة بالمنزل حين رآه · وبالرغم من انه كان محشورا بين عدة ابنية مجاورة على كلتى جانبيه الا أنه مميز الشكل واضحا بينها وضوح الشمس · وبدلا من أن يميز بطريقة معينة استعيض عن ذلك بانحناءة فى سقفه وبرجا مستديرا على قمته تشبه ذلك الرسم الكروكى الذى اطلع عليه بالامس فقط · حتى قبل أن تريه ايفا الخريطة وقبل أن تطلعه على الرسم كان قد تخيله على هذا النحو الفريد ·

ـ أنه يبدو مشابها تماما للرسم الذى تحملينه · ليس هناك ادنى اختلاف بل التطابق تام وكامل ·

قال ذلك كاعتراف ضمنى لبراعتها ومهارتها وأخذ يتأمل المنزل كرمز لما سوف تجلبه له الايام من حظ بعد طول عناء ونصب . وحاول أن يرسم صورة فى ذهنه لما سيحدث ولكنه عدل عن ذلك .

ـ أنه يماثل الرسم تماما ـ حتى المسافات والاتجاهات وبعده عن الكنيسة · لقد استطعت أن أقيس المسافات بعينى فوجدتها مطابقة تماما لما جاء بالرسم ·

ـ وماذا جاء فى الكتاب أيضا غير الخريطة والكأس ؟

ـ ان الجزء الاول يشير الى مكان المنزل · والان يبدو لك تصور المكان سهلا وفى متناول يدك · ولكن الحديث عنه فى الكتيب ·· من خمسمائة عام كفيلة باحداث

تغييرات عديدة ·· ثم جاء فى الكتيب بعد ذلك ذكر لما يمكن رؤيته داخل المنزل · ان الكنز فى أحد الاقبية التى تؤود الى النهر ، فى ممر مغلق تماما · لقد أوضح الرسم جميع المسافات والعلامات التى يجب على المرء أن يتبعها ليصل الى الكنز ·

وتفحص تمبلار المبنى بأمعان · وقال ملاحظا :

ـ اننى لا زلت أصر على أن المنزل الذى يحوى مثل هذا الكنز لا يحتمل التنقيب والبحث لفرط قدمه · لابد من مزيد من المساومة ومحاولة تخفيض الثمن بل عدم دفع شىء على الاطلاق ·

ـ اذا كنا سنعثر حقا على الكنز فسنعوض كل شىء ·

ـ أمامنا الكثير من العمل والصبر والامل ·

ـ ولكن سيتطلب الامر منا أن نشرع فى الحفر · ان الامر سيتطلب وقتا طويلا أكثر من بضعة دقائق قلائل فاذا باغتنا أهل المنزل فربما قبض علينا ، فماذا نفعل عندئذ ؟

أما الحل الاخر وهو دفع المبلغ فسيجنبنا القلق والخوف وسيعطينا أسبوعين كاملين نفعل فيهما ما نشاء ونعثر على ما نركن بمنتهى الراحة والطمأنينة ·

فرد سيمون تمبلار معلقا :

ـ كل شىء وأى شىء الا أدفع مبلغ خمسين ألف مارك

ـ لا حل أمامنا سوى ذلك ·

ـ لقد اقترحت الحل وسأتعهد أنا بالتنفيذ ولا سبيل أمامنا غير ذلك ·

ـ انها مخاطرة جريئة ·

ولكن لابد من خوض غمارها فحتى اذا لم نعثر على

الكنز فلن نخسر ساعتها أكثر من بعض العناء ٠

ـ اننى خائفة ومتوجسة ٠

ـ لا عليك ٠

وقبل أن يستمع لمزيد من شكواها ومخاوفها ٠ عبر الشارع وتسلق المرتفعات وطرق باب البيت الذى كانا يتطلعان اليه منذ لحظات . واستطاعت ان تلحق به قبل أن يلبى أحدهم نداءه ٠

وقالت وهى تلهث من التعب والانفعال :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ سأرى ان كنا نستطيع الوصول الى حل أوفق مما استطعت ٠ سوف أقدم نفسى على أننى رئيسك فى شركة الانتاج السينمائى ٠

ـ ولكن هل تضمن عاقبة ما تفعل ٠

ـ اننى أحاول ليس الا واذا فشلت فى المساومة فسألجأ للمراوغة وليس أجمل من التجربة والاقبال على المزيد من المغامرة ٠

ـ لقد ذكرت لك أن الرجل عنيد للغاية ٠

ـ وماذا يهم ٠ ربما لانت صلابته ٠

كان فرانز كولبن نفسه هو الذى فتح الباب ، لان هذه المنطقة هى التى يعيش فيها كما علم بذلك سيمون تمبلار ٠ وقد استطاع أن يكون ثروة طائلة منذ أن تولى ادارة الشركة بعد موت حماه وبمساعدة بعض معاونيه الذين نشرهم فى كل مكان . وبالرغم من أنه لم يكن يتوقع زيارة فى مثل هذه الساعة ولكنه كان سريع التصرف واستطاع أن يرسم على وجهه تعبيرا

خسيسا يتناسب والموقف الذى يواجهه ٠

وبعد ان توليت ايضا القيام بعملية التعارف بين سيمون تمبلار والرجل قال القديس :

ـ أرجو المعذرة على ازعـاجك فى مثـل هـذه الساعة ٠ ولكنى مضطر لذلك فلابد أن يتم اتصـال بينى وبين هوليوود الليلة لاطلعهم على جميـع المعلومات وانتظر ما يرد من معلومات ٠

ورد كولين بجفاء :

ـ تعالا الى الداخل ٠

ـ سوف يسعدك جدا أن تعلم أن النجم الجديد الذى نقدمه فى هذا الفيلم المانى الجنسية ٠

كان سيمون تمبلار يحاول أن يتباسط مع الرجل بينما يقودهما الى الداخل بعد أن اغلق باب البيت وراءه ٠

ـ لست أعلم هل تستطيع معـرفة هـذا النجـم والتعرف عليه أو هل سيصعب عليك ذلك ٠

وأخرج من جيبه صورة من تلك التى كان الرسام يقوم برسمها لشخصية أخرى غيره وأطلـع الرجل عليها . ولم يرد كولين عن أن ضيق حدقة عينيه ولكن الانفعال الذى استطاع سيمون تمبلار أن يلمحه كان كافيا جدا بالنسبة له بل أزيد مما توقعه ٠ ودون أن يتردد ولو للحظة واحدة ودون أن ينتظر من الرجل كلمة او لفظا عقد قبضة وفاجأ بها كولين الذى لا حول له ولا قوة تحت ذقنه مباشرة ، وفى سرعة خاطفة لم يسبق له أن استخدمها مع شخص قبل كولين ٠

ـ هل جننت ؟

وجرت ايفا بينماكولين يتدحرج على السلم بلا حول

ولا قوة وكما صورته الصورة التى يحملا سيمون تمبلار فى جيبه .

ـ هكذا سيمكننى اقناع المحلفين يا عزيزتى اذا لم أستطع تسوية الامر بنفسى مع هذا الرجل .

هكذا أجاب سيمون تمبلار وحينما اتجهت اليه محتمية به كرهها فى هذه اللحظة كما لم يسبق له أن كره امرأة من قبل .

وهذا جعله لا يعبأ بشىء ولا يخشى من شىء الا أن يباغته بعض أصدقاء كولدن الذين يعيشون معه فى المنزل . ولكن سيمون تمبلار أخذ يتجول من حجرة لاخرى ببطء وحذر لم يجد أحدا بالمنزل . الا أن حجرة من حجرات المنزل كان بها شخص طالما أراد سيمون تمبلار أن يراه وطالما بحث عنه فى كل مكان .

هكذا باغت سيمون تمبلار الرجل الذى كان يحاول أن يختفى عن ناظريه والذى تحرك بسرعة من طريق القديس

ـ ان هذا مكانك الصحيح تماما فليس بغيب أن تكون هنا . فأنت تدخل محل الانتيكات وتتولى توزيع كتيبات دليل هامبورج على السواح . وليس بغريب كذلك أن تبث أتباعك فى ريبربان لاصطياد السواح الى حى ريبربان . انى أحذرك أيها العجوز اللئيم .

وأنكمش رودنج على نفسه حتى كاد يختفى عن النظر من شدة رعبه وخوفه وقال وهو لا يكاد يقوى على اظهار صوته :

ـ انهم هم الذين رتبوا هذا الامر . لا دخل لى اطلاقا فيما حدث . ان اورميستر هو الذى جهز الكتب وابنته هى التى اعترضت طريقك واصطحبتك الى

العروض التى تعرض فى حى ريبربان وعمها هو بائع التحف وزوجها هو الذى يمتلك هذا المنزل · هذا كل ما أعرفه وهذه هى قصة شتورت بكر وكأسه كاملة دون كذب أو مبالغة ·

فقاطعه سيمون تمبلار :

ـ لقد سمعت كل ذلك · لقد سار كل شىء على ما يرام ، ورسمت الخطة بابداع · ولكنك لست شخصا عاديا فأنا أعرف مهارتك تماما . وأن شهرتك فى عالم الجريمة والاحتيال واسعة · ان لم يتصل بى صديقى من واشنطن ويحذرنى من أنك تزاول نشاطك فى هامبورج لمـــا استطعت أن أربط خيط هذه الخدعة بعضها ببعض وأصل الى ما وصلت اليه · لا أكذبك القول اننى بادىء الامر لم أتشكك فى الموضوع ولكن بعض تصرفات الفتاة ثم تعرفها المفاجىء على المنزل على هدى خريطة باهتة غير واضحة المعالم ثم المبلــغ الخيالى الذى طلبته ايجارا للمنزل وعينها التى لمحت الكأس دون الناس أجمع وعينها التى عثرت على المنزل بهذه السهولة والسرعة · ثم محادثة واشنطون يا أرنست رودنج . لقد سمعت عن نشاطك المتعدد الاوجه فى باريس وواشنطون وألمانيا وأعلم كذلك أنك كنت تنوى الذهاب الى روسيا ·

وأخذ ارنست رودنج يفرك يديه بعضهما ببعض كأنما ليعيد لهما بعض الحياة بعد أن تجمدتا من الرعب والهلع ولكن وجهه كان لا يزال شاحبا شحوب الموتى .

وسأل بانفاس لاهثة :

ـ بحق السماء من أنت ؟

ـ اننى القديس ·

القسم الثانى

المباراة الكبرى

لقد ترجمت عدة كتب عن جان بلمونت اشهر مصارع للثيران عرفته كتب المغامرات واعتبرت هذه الترجمة كمقدمة لتاريخ حياة سيمون تمبلار المعروف باسم القديس اشهر مغامر عرفه الناس على مر العصور فالمغامرات التى خاضها اسلافه ومن جاءوا بعده لا تعد شيئا يذكر الى جانب ماروى عنه وما أتاه من افعال . وقد عرفه القراء كلص ظريف وكمحترف لهذا الفن من المغامرات التى تمتاز بخفة الظل وعنصر المفاجأة .

وقد قام احد المخبرين الصحفيين الانجليز بعمل تحقيق صحفى بناء على طلب القراء مع صاحب اشهر مغامرات ولكن هذا الحديث قد خيب آمال هذا الصحفى الذى كان يطمع فى حديث يشهره ويرفع اسمه فى الجريدة التى يعمل بها .

ـ انك تبدو فاترا على غير عادتك ـ هل فقدت اهتمامك اخيرا ؟

فرد سيمون تمبلار بعدم اكتراث :

ـ لقد نعمت بفترة راحة فى الايام الاخيرة ولم امارس نشاطى فى اى من البلدان منذ مدة طويلة .

ـ وهل لم تحس بوحشة لايام المغامرات ؟ اننى أتوقع من رجل مثلك الا يستطيع العيش بعيدا عن الاضواء والشهرة ولو حتى مارس نشاطه فى حلبة مصارعة الثيران او فى ملعب الجولف .

فرد سيمون تمبلار قائلا :

ـ اذا حدثتك عن براعتى فى حلبة مصارعة الثيران فاما أن تعجز صفحات جريدتك عن استيعاب ما سأقول واما أنك لن تصدقنى وفى هذا جرح لكبريائى · ولذا دعنا من احراج كل منا للاخر وتعال نتحدث فى أمور اخرى · وفوق كل اعتبار فان الحديث عن السرقات تكون مانشتات اكثر جاذبية للقراء عن الحديث عن امور مصارعة الثيران او اى شىء من هذا القبيل ·

وباختصار فقد حاول سيمون تمبلار تجنب الحديث مع بعض الصحفيين الذين استطاعوا التعرف عليه اثناء وجوده فى اسبانيا · واستطاع برشاقته فى الحديث وقدرته على الاقناع أن يتجنب أية مضايقات من الصحفيين حتى أول هؤلاء سلوكه بانه تعال ومزيد من حب الظهور والسعى الى الشهرة حيث يقال ان سيمون تمبلار رفض الادلاء باحاديث صحيفة · واكتفى سيمون تمبلار فى فترة الاستجمام تلك بأن يكون مجرد متفرج لا أكثر ولا أقل وبالرغم من سعى الصحفيين وراءه فان اغراءاتهم لم تثنه عن عزمه ولم تحرك مشاعره للسعى وراء مغامرة جديدة ·

وبالرغم من ذلك فان اجابة سيمون تمبلار الاخيرة على ذلك المخبر الصحفى ، شأنها فى ذلك شأن بقية اجاباته ، كانت تعبيرا عن الحقيقة المجردة التى ترضيه وتشبع شيئا فى داخله ·

لقد استطاع فعلا أن يصل الى حلبة الثيران وحقق حلما تبدى لكثيرين من الشباب وعجزوا عن تحقيقه ·

وكانت الفترات التى يقضيها فى اسبانيا تذكره بأيام

يجب ان يعيشها باستمرار وان يسترجعها على الدوام ٠ فهو يعشق جوها وروحها ولهجة اهلها ، وهو فوق كل ذلك يجيد هذه اللغة ويتحدثها كواحد من أهلها ٠ ان الاجواء التى يعيشها فى اسبانيا لا تعادلها بقعة من بقاع الارض وهو حين يأتى الى هنا انما ينشد الراحة فعلا ويكره الاثارة والازعاج ومطاردة الناس له ٠

ان القديس قد اتخذ من مطاردة المجرمين رياضة له فى اغلب الاوقات واحس فى هذا العمل بالمتعة الحقة التى لا تعادلها الا متعة فوز رياضى بارع باللقب الذى يستحقه بعد ان يحقق نصرا فى احدى المباريات الرياضية ٠ وشأنه شأن الرياضى فان بعض المباريات تمثل له متعة اكثر من بعضها الاخر ، فهو يحس بفرحة الانتصار والتفوق على نفسه حين يستطيع ان يضع يده على سر جريمة قبل ان يعلم البوليس بها او يقبض على محتال او لص قبل ان تستطيع العدالة ذلك ٠

وسيمون تمبلار متيقن تماما من أن الانسان يميل بطبيعته للشر وللجريمة ويعلم كذلك انه خلق لتعترض الجرائم طريقه وليقابل من الناس الاشرار قبل الابرار ٠ فهو احيانا يقدم البراهين على براءة شخص يكون حبل المشنقة قد اوشك ان يلتف حول عنقه وهو احيانا اخرى يكون مجرد اداة يستطيع البوليس عن طريقها وضع يده على الخيط الموصل للحقيقة ٠ وكثيرا ما وقف فى موقف الزوج المخدوع او الرجل الى ينقذ امرأة اوشك زوجها ان يطلقها دون ان تجنى جرما ولكن لان وغدا اعترض طريقها ، المهم ان حياته مليئة بالاحتمالات وبالمواقف ٠ والقتل فى نظره كالزواج يحتاج دائما الى شريكين فلا يمكن ان يكون هناك زواج دون زوج وزوجة ولا يمكن ان

تكون هناك جريمة قتل دون فاعل ودون ضحية ٠

وفى احدى امسيات لندن أحس سيمون تمبلار أنه قد التقى بالاثنين معا ٠ كان ذلك فى بار هوايت اليفانت وكان ناديا محترما تستطيع أن تعثر فيه على جميع الشخصيات المشهورة التى تكتب عنها الصحف ٠

وعلى هذا الاساس استطاع سيمون تمبلار ان يعرف هذا الشخص ذو العيون السوداء المشتعلة وهذه الندبة الكئيبة فى احد خديه ، استطاع ان يعرف هذا الشخص وعلى الفور الياس ايزبيو ، الذى كان يلقب باعظم مصارع ثيران منذ وفاة مانولين ٠ ولم يسبق للقديس ان رآه من قبل فى الحلبة ، ولكن هذا الوجه طالما نشرته الصحف خاصة بعد زواجه المشهور وارتفاع نجمه منذ سنة مضت ٠

وقد عرفت ايانثا لامب ، التى تزوجها أو بمعنى أصح التى تزوجته ، بثروتها التى تبلغ عدة ملايين لا يعرف احد عنها شيئا وقد تزوجته بعد شهرته التى طبقت الافاق ٠ كانت ايانثا لامب نجمة سينمائية ان لم تكن من ألمع النجوم وأبرزهم خاصة تلك الأدوار التى تتطلب نوعا معينا من المواهب ٠ وقد همس البعض بأنها تمثل فى حجرات النوم ببراعة تفوق تمثيلها امام الكاميرا اللهم فيما عدا تلك الافلام التى انتجها لها زوجها الاول وأنفق عليها معظم ثروته وقد استطاعت ان تحقق بعض النجاح والشهرة فى تلك الافلام ٠ وكانت مغرمة بمصاحبة نوع معين من الناس يكمن الموت فى وظائفهم التى يشغلونها ، فكانت تهوى سائقى السباق ومروضى الوحوش والغطاسين ، والمرشدين والملاحين والجنود والطيارين ، اعنى ذلك النوع من الناس المعرض للخطر أكثر من

البعض الاخر وقد ملات مغامراتها امدة كثيرة وشغلت صفحات عديدة اكثر مما استطاع اسمها وشهرتها فى عالم الفن ان يفعلا وقد ختمت ذلك بزواجها بايزبيو هذا الثعلب الماكر ولكن عمله من نفس طبيعة عمل الاخرين فهو معرض بين آن وآخر للموت تحت قرنى ثور ·

وكانت تقول فى دلال :

ـ انت عاطفى للغاية يا الياس · لا أحد ممن يراك فى حلبة المصارعة يمكنه ان يتخيل كم تبدو رائعا كزوج وكحبيب · فى كل لحظة تخطو فيها الى الحلبة احس بالضياع وبالموات يحاصراننى · ولكنك دائما تعود وهذا اروع مافى الامر ·

وكان ايزبيو يرد ببشاشة ·

ـ واعتقد اننى ساعود دائما وساظل على قيد الحياة طالما يحمينى من الخلف سائق ماهر مستعد لانقاذى عند اللزوم ·

ويتساءل الرجل الاخر الذى بصحبتهما :

ـ أيعنى ذلك انك قد فقدت اعصابك وثقتك بنفسك حتى تنسب العودة والنجاة لمن يحمون ظهرك ؟

كان اطول من ايزبيو واضخم حجما ، وينطق بعض الكلمات بلهجة معينة تنم عن اصله الانجليزى المميز الذى تخطئه العين حينما ترى لونه الذى قد لوحته الشمس من جراء طبيعة عمله على ما يبدو · وكانت اسنانه بيضاء ناصعة بحيث تحدث نوعا من التناغم مع بشرته التى لوحتها الشمس · وكانت له عينان رماديتان وشعر رمادى اللون قد وخطه المشيب وان لم يبد على وجهه انه قد تخطى مرحلة الشباب بل اضافت له تلك الشعيرات سحرا وجاذبية ·

وكان هذا الشخص من المشهورين ولكن بدرجة اقل من ايزبيو ـ الا انه قد تسنى لسيمون تمبلار ان يقرأ مقالا عنه منذ مدة وجيزة فى مجلة من ذلك النوع من المجلات الذى لا يعثر عليه المرء الا فى قاعات الانتظار · كان اسمه رسل فيل وكان اسمه الوظيفى الصياد الابيض : أعنى هذا الرجل الذى يقوم بمرافقة هواة الصيد فى الغابات فيدلهم على مكان الوحوش وطريقة كل منهم فى المعاملة ومتى يجب أن يطلق الشخص رصاصة ومتى يهجم ومتى يتراجع وكان يحتفظ فى مكتبه بمجموعة من الرءوس والقرون للحيوانات التى اصطادها من قبل · وقد عاش فترة من الوقت فى غابات افريقيا والف كتابا عنها مما جعل له اسما وشهرة ·

ورد ايزبيو بهدوء :

ـ انما قررت فقط الا اكون غبيا ، انها مسألة حسابية بحتة · حتى اذا كنت ماهرا مهارة فائقة فان كل صباح يحمل لك جديدا وفى الامكان ان تنالك قرون الثور فى اية مباراة . وكلما انتهيت من مباراة زادت فرص الثور فى الفوز عليك · واذا كنت تصيب الهدف فى كل مرة ومهما كانت صعوبة ذلك ، فيوما ما لن تستطيع ذلك · فلطالما اخطأ الهدف مئات وآلاف من مصارعى الثيران ولطالما نسى هؤلاء ان الخطر يهددهم فى كل وقت كان كل منهم يقول بعد سنة او ثلاث سنوات او عندما اصل الى الاربعين سوف اتقاعد : ولكنهم لا يستطيعون ذلك فقد تباغته قرون ثور فتصرعه قبل أن يحقق هدفه · هناك فرصة واحدة تستطيع فيها ان تتقاعد عندما تنوى ذلك بل وتحقق ماتريد بالضبط وهى حين تخرج سالما من الحلبة ثم تقرر الا تعود مرة أخرى لها ومهما كانت المغريات ·

وقال رسل فيل بصدق وحرارة :

ـ تتقاعد عندما تكون فى القمة انك هنا تذكرنى بلاعب القمار المحترف ·

ـ وعلقت ايانثا لامب قائلة :

ـ ان الياس شجاع دائما · ان جميع النقاد قد اجمعوا على وصفه بهذه الصفة ·

ـ ذلك لانى كنت محظوظا وقد كسبت الكثير ولم امارس حماقات كالتى يمارسها مصارعو الثيران عادة · لقد كنت رجلا غنيا ولم تكن بى حاجة الى الدخول الى حلبة المصارعة الا من أجل الشهرة فقط وان اجعل لحياتى معنى · ولكننى اكتشفت سعادة لا تعدلها سعادة ومعنى رائعا للحياة ـ وهو ان اظل على قيد الحياة وان اكون زوجا لايانثا · هذه هى المفاجأة التى قدمتها الى ايانثا فى شهر العسل ، ان أكون مشهورا وان أحقق لها ما تريد ·

فردت ايانثا بانفعال :

ـ وأية مفاجأة ، لقد كانت آخر شىء نوقعته · ولكن لا تلق اللوم على اننى لم اسألك ان تفعل ذلك ·

ونظر ايزبيو اليها نظرة ملؤها الاسى والالم وقال :

ـ ومن تحدث عن اللوم ؟ لقد اردت ان أمنحك حياتى ، وكيف أقدمها قربانا لك ان لم أحترف هذه الرياضة ·

وارتشف رسل فيل رشفة كبيرة من كأسه ثم حاول ان يصل من الحديث ما انقطع مرة أخرى ·

ـ أمن الممكن ان نقضى كل ذلك الوقت فى الحديث عن القتل ، الياس ـ بصدق وأمانة الست ترى انك بالغت فى الامر ايما بمالغة ؟ صيادى الوحوش يقتلون · ولاعبى كرة القدم يقتلون · ومن يقومون بطلاء المنازل يقتلون · حتى المارة العاديون يمكن أن يلاقوا حتفهم فى الطريق ·

فلو أحصينا جميع مصارعى الثيران فى اسـبانيا ومكسيكو هل من الممكن ان تقول انهم جميعا قد تعرضوا للقتل ، انت تبالغ يا عزيزى ·

وقال ايزبيو بصبر وبطريقة معينة لا تخطئها الأذن الحساسة ·

ــ ليس الامر واحد فى كل الحالات . ان الثعلب لا يكون مسوقا لقتل الصياد بل تحـدث المسـألة بالمصادفة وكذلك من يقومون بطلاء المنازل يريد لهم الناس أن يقعوا من فوق السلم ليلاقوا حتفهم .

ـ طبعا ، طبعا ، ان مهيجى الثور يريدون الحصول على أكبر متعة ممكنة · ولكن الثعلب يتحرك بحرية وفى مساحة واسعة · أما الثور فلا يستطيع الخروج عن دائرة معينة مرسومة له ، أليس كذلك ؟

ــ اننى لا اقصد ذلك · من الصعب ان اشرح لرجل انجليزى ما اعنى تماما · ولكنى اعنى ان مصارعة الثيران ليست رياضة · انها عرض لاظهار براعة ومهارة المصارع بل وشجاعته ·

كان فيل يضحك ويبتسم طوال الوقت ويتمتع بطبيعة هادئة للغاية طوال المناقشة التى بدا فيها ايزبيو عصبيا للغاية ·

وقال ايزبيو آخر الامر :

ــ انها ليست مجرد قطعة اللحم التى تغرى الثور بل أكثر من ذلك ، أتذكر ذلك الجاموس الافريقى الذى تحدثت عنـــه ؟

ـ ولكن الجاموس يغلق عليه فى حظيرة معينة كذلك · ولكنى قد تعرضت لاخطارها مرات عدة وكان من الممكن ان تفرسنى احداها !

ـ ولكن بيدك بندقية تستطيع بطلقة واحدة منها ودون مجهود سوى ضغط اصبع على الزناد أن تصرعها وقت الخطر ·

وظهر انفعال الالم واضحا على وجه ايزبيو وهو يمثل مشد البندقية لرسل وان كان صوته لم يتغير ·

ـ هل اقتربت تماما من أحدها بحيث تواجه مثل الخطر الذى نواجهه نحن فى حلبة المصارعة ونحن قريبين من الثور بشكل مرعب ·

وارتشف فيل رشفة أخرى وأجاب بصوت خفيض :

ـ أنا لست على هذا القدر من الحماقة ولا أبغى أن اجذب انتظار المستمعين ولكن بالرغم من ان الخطر ليس محيطا بنا من قريب مثلكم الا أن زملاء كثيرين لى قد لاقوا حتفهم فى الحلبة · اننى أوضح الامور فقط ولا أريد الدخول فى منافسة ·

وانتفض ايزبيو :

ـ ان من تتحدث عنهم لم يسبق لى معرفتهم اللهم الا فى أوبرا كارمن الفرنسية · اما الرجال الذين يقومون بعملى فهم مصارعوا ثيران لا راقصين .

وحاولت ايانثا أن تضع حدا للمناقشة فقالت :

ـ أن زوجى متواضع عندما يصف نفسه بانه مجرد مصارع ثيران ، انه نجم لامع · انه ألمع من أى نجم من نجوم السينما ·

وابتسم فيل ابتسامة عريضة وقال :

ـ آسف لسوء الفهم ، اننى لم أقصد اهانتك · ولكن لم يسبق لى معرفة الفرق بين مصارع الثيران الذى يقف فى الحلبة وبين زميله الذى يكون راكبا ·

ـ هل يعرف أحد منكما الفرق بينهما ·

ولم تأت اجابة مباشرة · وأصبح سيمون تمبلار غير قادر على مقاومة هذه النظرات التى توجهها ايانثا له · فمرة أخرى استمرت تنظر اليه بجرأة لفترة من الوقت دون أن تجفل أو يبدو عليها الخجل ·

ولم يستطع هذه المرة أن يحرك عينيه عنها قبل أن تبدو عليه سمات البلاهة واستمر يحملق فيها ذاهلا · فباغتته قائلة :

ـ ربما استطاع شخص آخر أن يفتى فى الموضوع ألا تستطيع ذلك ؟

وقال بطريقة ودية :

ـ ولكنى لست متابعا للموضوع كما تعتقدين ·

فردت على الفور :

ـ لا يبدو عليك ذلك · بل تبدو أكثر اهتماما بالامر من أنت ؟

كم يكره أن يوجه أحدا هذا السؤال اليه : ان الحقيقة دائما مرة ودائما يواجه بنفس الموقف ولا يدرى ما الذى يعجب الناس فيه من صفات وأى شخصية يجب أن يظهر بها أمامهم ·

ـ اننى أدعى أشياء عدة ·

ـ أقصد ، ما اسمك ؟

وقرر أن يواجه هذا الموقف بشجاعة وليفعل الله ما يشاء بعد ذلك · ونطق بالاسم واستسلم بعد ذلك لرد الفعل ·

وبدا واضحا ان لم يكن عجيبا انه لا فيل ولا ايزبيو قد احساسا بأى رد فعل للاسم ولا بالدهشة له مثلما فعلت ايانثا لامب التى بدأ عليها الفرح كأنها تكاد تطير من شدته ·

ــ يا بطلى العزيز !

قالتها بأعلى صوتها وسط دهشتهم ٠

ــ أرجوك ٠

هكذا رجاها سيمون تمبلار بينما ترك كرسيه واتجه الى حيث يجلسون ٠

وارتسم على وجهها تعبير غريب ينم عن السرور والفرحة كأنها قطة جائعة وضعت مخلبها أخيرا على ذيل فأر ٠

ــ وهو كذلك ولكن بشرط ٠

ــ لك ما تشاءين ٠

ــ فيما بعد ٠

قالتها فى صوت خفيض فيما تعتقد ولكنه صوت يمكن سماعه من على بعد عدة أميال من فرط انفعالها ٠

واستطاع رسل فيل أن يفيق للموقف ويتحدث الى سيمون تمبلار فى لهجة حائرة :

ــ هذا عظيم للغاية ٠ ولكن هل لنا أن نتعارف ؟

وقامت هى بهذه المهمة ٠ وانحنى ايزبيو باعتزاز ٠ وصافح فيل سيمون تمبلار بحرارة وأمسك بيده لعدة لحظات ٠

وقال فيل :

ــ لابد أن لك مكانة خاصة لأنك أثرت ايانا على هذا النحو ٠

واستمر فى حديثه بنفس النبرة الرقيقة الهادئة :

ــ هل سبق لك أن قمت ببعض المغامرات المشهورة فى مجال الصيد مثلا ؟

ــ أحيانا ٠

وتساءل ايزبيو :

ـ هل تعرف شيئا عن مصارعة الثيران ؟
ـ قليلا ٠
وتساءلت ايانثا لامب بدورها :
ـ حسنا ، ماذا تجيد اذن ؟
واندقض سيمون تمبلار :
ـ أعتقد أنك لاتريدين تفسير الامور أكثر من ذلك اذا كان س من الناس قد قتلوا فى معركة ووترلو و ص من الناس قد قتلوا فى معركة العلمين فأيهما أشجع من الاخر فى نظرك ؟

وأصرت على سؤالها :
ـ بمعنى آخر ، حين أريد أن أعرف أيهما أشجع فاننى أرسل مصارع ثيران الى رحلة صيد ثم أرسل بصياد الى حلبة مصارعة الثيران ٠
فغمغم فيل :
ـ اننى أتشوف الى رؤية مصارع ثيران وهو يمسك بجاموسة برية بيديه الاعزلتين من السلاح أو يجذب فيلا أو ٠٠

فقال سيمون تمبلار :
ـ أو أن يأكل أحد الاشخاص كلب بحر ، هل يستطيع كلاهما أن يعوم ؟ اننى أقصد بكلامى مجرد الفكاهة أو أن المقارنة التى تعقدونها ليست سليمة ٠ هناك مهارات كثيرة مطلوبة الى جانب الشجاعة ٠ ربما كان مصارع الثيران غير قادر على استعمال بندقية صيد ٠ وربما فشل الصياد الماهر فى أن يرتدى معطفا ٠ اذا أردتم مباراة بين مصارع ثيران وصياد بطريقة عادية فأفضل الطرق هو اختيار تفوق أحدهم على الآخر فى مجال يكون كل منهما هاويا فيه .

وهللت ايانثا لامب :

ــ ماذا تقترح اذن ؟

ــ كانت هذه هى المرة الاولى التى يشعر بها سيمون تمبلار بالقشعريرة تسرى في بدنه · فهذه المحادثة الغريبة قد أثارته للغاية · ولكنه قال ببساطة :

ــ ما رأيكم أن تتباروا فى لعب الورق أو أى شىء من هذا القبيل .

وبدا الاحباط على وجه ايانثا ، ولكن رسل فيل هلل فى فرح وهو يزدرد آخر جرعة فى كأسه وقال :

ــ يالها من فكرة عظيمة ·· ولكن لدى فكرة أجمل · ما رأيكم فى أن نتراهن على احتساء أكبر قدر ممكن من الشراب · هل نستقر على ذلك · اننى على أتم الاستعداد

وبينما يتناقش رسل فيل وزوجها حول فاتورة البار وكل منهما يريد تسديدها ، رمقت ايانثا سيمون تمبلار بنظرة درامية عنيفة · وعلى الرغم من المبالغة فى نظراتها الا أن سيمون تمبلار لم يعتبر الامر مجرد نظرة عابرة بل تصور أمرا هاما وراءها ·

وغمغمت قائلة :

ــ انت رجل صعب المرأس للغاية · ولكنى مازلت متمسكة بالمساومة التى عرضتها فى أول الامر ·

وقال سيمون تمبلار بفرح :

ــ تحت أمرك فى أى وقت تشائين ·

ــ اين تقيم ؟

ــ فى فندق جروسفينور ·

وحينئذ أقبل ايزبيو وقال بلهجة حادة ·

ــ اننا على استعداد ·

وانتهت الجلسة · اللهم الا في ذهن سيمون تمبلار

الذى حاول أن يضع النقط على الحروف بعد مغادرته البار ·

كان على وشك الانتهاء من تناول طعام افطاره فى ساعة متأخرة من صباح اليوم التالى فى حجرته فى الفندق ، حينما دق جرس التليفون وحملت اليه أسلاك الاثير صوتا ناعسا :

ـ صباح الخير · كما ترى لم أنس الموعد ·

فرد ببساطة :

ـ ربما لازلت تحلمين · فصوتك يدل على أنك لازلت نائمة ·

ـ حاولت الاستيقاظ مبكرا لالحق بك قبل أن تغادر الفندق · هل أنت مرتبط بموعد على الغداء ؟

وعندما تردد للحظات أضافت قائلة :

ـ أو لعلك تتهرب مع أنك بالامس ذكرت استعدادك للقائى فى أى وقت ·

فقال بصوت هامس :

ـ اننى لم أتهرب بل ان وقع المفاجأة كان كبيرا على فلم أحلم بهذا الشرف ·

وأصدرت صوتا كسولا دغدغ أحاسيسه وأضافت :

ـ أمامك من الوقت متسع حتى الظهيرة · ليكن لقاؤنا فى الواحدة ·

ولدهشته البالغة فقد أتت فى موعدها تماما · وبدت اكثر صحة ونشاطا مما تخيل · انها كانت تضع على وجهها كمية مساحيق لا تتفق وضوء النهار لاشك فى ذلك ، أو على الاقل فى رأيه هو ، ولكن ذلك ليس شيئا غريبا فى مكان للاعمال شهير فى لندن · ولم يكن فى وسع سيمون تمبلار كآدمى الا أن يعترف بانه كان موضع

حسد معظم الرجال الموجودين فى المطعم ٠
وقال تعليقا على المكان :
ـ ان القيل والقال لا يهمانى فى شىء ٠ ولكن هل فكرت فى ذلك قبل أن تختارى هذا المكان ؟
وأجابت ببرود :
ـ ألست ترى أن قرارى حكيم للغاية ؟ اذا اقترحت مكانا خفيا منزويا وحدث أن رآنا أحدهم فيه فسيجدون فى ذلك مادة لحديثهم ٠ ولكن كل الناس يتقابلون هنا فى مهام وأعمال ٠ أن المكان مفتوح للجميع بحيث لا يندهش أحد لوجودنا هنا ٠
وعلق باحترام :
ـ أرى أنك درست الموقف جيدا . واين الياس ؟
ـ على موعد للغداء مع محاميه ، فى مكان اعتاد المحامون الذهاب اليه ٠
ـ أى نوع من المحامين ٠
وضحكت ضحكة قصيرة لها معنى ٠
بشأن كتابة وصية ٠ ليست مما تفكر فيه ٠ ان الياس كاثوليكى أما أنا فلا وهو جاد لطلب الطلاق اذا قضيت على ثروته كلها أو حطمت زجاجة على رأسه كلما اقترب منى ٠ عندما يتزوج مثل هؤلاء المتدينون فهم يعنون تماما « لن نفترق حتى الموت » ٠
وتقدم رئيس المطعم بنفسه ناحيتهما وقال ماريو :
ـ هل تجربان كبد الماعز انه ألذ بكثير من أى أصناف أخرى وليس لدى منه أكثر من طلبين فقط ٠
وقالت ابانثا بتأفف :
ـ اننى لا أطيقه ٠ يا للمعزة الصغيرة المسكينة ٠٠ ! سوف أكتفى ببعض من لحم الضأن ٠

فقال سيمون تمبلاز على الفور :
ـ ان قلبي ليدمى لهذا الحمل الوديع · انني سأجرب كبد الماعز ·
كان لذيذا للغاية ولا يمكن للمرء الا ان يتذكره دائما ، وتحدثا في عدة أمور عامة ولكنه كان يعلم تماما انها ما سعت اليه ليتحدثا في شئون الكون ·
فبادرها قائلا :
ـ أعتقد اننا جميعا حساسين · ولكن هل لديك أسباب منطقية لاختيار بعض الحيوانات والعطف عليها دون غيرها ؟
ـ بالطبع لا · ولكنى دائما أعرف ما أحس ·
ـ هل عشقت روما القديمة بمصارعيها الاقوياء ·
ـ ولم لا ·
ـ وعندما يقتلون بعضهم البعض الن يكون الامر مدعاة لسرور أكبر ·
وعضت شفتيها ولكنها كانت مجرد حركة تنم عن الضيق أو مجرد تعبير ظاهرى لا يعكس حقيقة صاحبه ·
ـ لطالما أثار ذلك عجبى ولكم وددت أن أرى هذا المشهد ولو لمرة واحدة فى الحياة الواقعية بدلا من السينما · اننى دائما أجد لذة فى انجذابى الى هؤلاء الرجال الشجعان ·
ـ لا تحملقى فى هكذا · لطالما تمنيت أن أكون جبانا ولكنى كنت اخشى ذلك
ـ لا داعى للمحاورة والمداورة · لابد أن أكون صريحة · لقد أثرت اعجابى · لطالما اعجبت بك حتى وأنا لم أعرف عنك أكثر مما قرأت ·
كانت لحظات مكاشفة وصدق ـ فلطالما أحس بالزيف

في هذا الكليشيه المطبوع الذى طالما رددته للكثيرين · آه ان لعبة النفاق تبدأ من جديد ، ربما أسرع من كل المرات السابقة ، بالرغم من الجو الذى تسود فيه رائحة الجدية والعمل · لقد أخفت عينيها أمرا مروعا لاشك فى ذلك ·

وارتشف رشفة واحدة من الكأس التى طلبها فى صحة تعارفهما وكان يراقبها بحذر بينما يفعل ذلك · انه نوع من عصير الفواكه النادر الوجود فى لندن لاقبال الناس عليه لما يجلبه من دفء عند تناوله :

وقال بطريقة مباشرة :

ـ اننى على استعداد لسماع اسوأ ما فى الامر ·

ـ أريد أن أعقد صفقة معك ·

ووضع سيمون تمبلار كأسه بحذر شديد · وتساءل :

ـ هل يعلم رسل فيل شيئا عن هذا العمل وهذه الصفقة ؟

ـ بالامس ربما كنت اهتم بذلك أما اليوم فلا أهتم على الاطلاق .

ـ ولكنه يقتل الاسود بل وحتى الفيلة ·

ـ ولكنك تقتل الرجال أليس كذلك ·

ـ لا أفعل ذلك لمجرد التسلية والمتعة ·

ـ ولكنك تفعل · وسوف تعيد الكرة ـ اذا لم يسبقك أحد لذلك · ولذلك فأنت فى نظرى أعظم منهما ·

فقال سيمون تمبلار :

ـ اننى فى غاية السرور أنك ذكرت كلمة كلاهما · فلا يجب أن ننسى زوجك · أن هناك ملاكا يحوم حولنا ويجعل لقاءنا مستحيلا خاصة بالنسبة لرجل لاتينى · ان الزوج أحيانا يملك حق القتل ·

ـ لا تحاول أن تدعى أن ذلك يفزعك ·

ـ بعض الاشياء تشعرنى بالفزع ، مثل فكرة أن تكونى جادة فيما ذكرت ٠

ـ ولم لا ، الاننى دخلت فى الامر مباشرة ؟ ان الحياة قصيرة ٠ ان هذا شىء أريده وأتمناه وأتمنى أن تريده أنت الاخر ٠ لم لا تسهل الامور ؟

وقال سيمون تمبلار بتأثر :

ـ هل تتحين لى الفرصة للتفكير ؟

وأومأت بهدوء :

ولكن لا تفكر طويلا ـ اننى سأغادر لندن الى روما فى الاسبوع القادم لتمثيل أحد الافلام ٠ الا اذا كنت تحب أن تسافر قبل ذلك ٠

وبعد يومين من لقائه بايانثا وعندما عاد الى فندق جروسفينور ، كان أول ما رأى أحدث صورة لايانثا لامب معلقة عند المدخل ـ وقد تعجب جدا لوجود صورتها على هذا النحو ٠ واخبروه ان شخصا ما يدعى رسل فيل قد اتصل به تليفونيا ثلاث مرات وأنه ترك له رسالة يود فيها الاتصال به حين يعود ٠ وزاد تعجبه وشغفه ولكنه توجه الى حجرته فقد كان الوقت متأخرا للغاية وهو يحس بميل للنعاس بعد حفلة السينما الصباحية التى شاهدها ٠

وما هى الا لحظات حتى دق جرس التليفون فى حجرته ونقل الاثير صوت الصياد وهو يقول :

ـ مسرور جدا لوجودك آخر الامر ٠ أعرف أن الوقت متأخر ولكنى آمل أن نلتقى على العشاء هذه الليلة . أعنى أنا وايانثا والياس فنحن نعتقد جميعا أنك ستكون رفيقا ممتعا لنا ٠

وفكر سيمون تمبلار أنه ليس هو المحظوظ بل هى ايانثا لامب التى ستجلس وسط رجال ثلاثة مشهورين وهى المرأة الوحيدة بينهم بل وهى محط أنظارهم جميعا ٠

وكانت لهجة فيل تحقق بعض التوقعات التى وضعها سيمون تمبلار فى اعتباره حين علم برسالته ، فربما كان فيل يود ان يلمح بأن الاعتداء على حقوق الياس ايزبيو الزوجية ذنب لا يغتفر . ولكنه لم يرتب لاكثر من ذلك . وجود ايانثا لامب فى هذا المحيط العائلى ربما ساعده على حل للمشكلة التى حاول أن يتجاهلها ويتناساها .

ورد على فيل بعد فترة صمت :

ـ هذا لطيف للغاية وشكرا على مبادرتكم .

ـ رائع . اذن سننتظرك فى السابعة .

ـ وهو كذلك .

ـ لا ترتدى ملابس السهرة . فنحن نرتب الامر على أساس ان نذهب الى احد المطاعم فى احدى القرى القريبة .

ـ هذا مناسب للغاية .

ـ شىء آخر اريد اضافته . هل يمكنك ان تحضر احد عددك وآلاتك ـ اقصد ، شيئا تستطيع به كسر قفل .

وقال سيمون تمبلار بلهجة تنم عن التساؤل :

ـ ان حديثك هذا مسل للغاية . اعتقد انك قلت شيئا من قبيل ان احضر معى عدة استطيع بها كسر قفل .

ـ فعلا هذا ما قلت بالحرف .

ـ أى نوع من الاقفال ؟

ـ فوق بوابة حديدية ضخمة . لا تنزعج ـ اننا لن نسرق شيئا . سوف نشرح لك الامر فيما بعد .. ولكن احضار شيئا من هذا القبيل ضرورى . نلتقى جميعا فى السابعة ، الى اللقاء ..

كان سيمون تمبلار ينتظر فى الردهة حينما حضر فيل وصافحه بحرارة ، ونظر حواليه كأنما يبحث عن شىء

احضره معه سيمون تمبلار ٠

ـ هل اعتقدت اننى امزح حين حدثتك عن القفل ، يا صديقى ؟

ولمس سيمون تمبلار جيب صديريته ٠

ـ اذا كانت هذه البوابة ليست على باب أحد البنوك فأنى استطيع فتحها فى الغالب وذلك يتوقف على ما عندك من أسباب للاقدام على هذا العمل ٠

ـ فيما بعد سأشرح الامر لك ٠ أما الان وقبل كل شيء فالى تناول الطعام ٠

وفى الممر الخلفى وجدا عربة جديدة وقد جلست اياننا لامب وبجوارها مقعد خال ٠ وعندما وصل سيمون تمبلار قريبا من العربة لاحظ أن الياس ايزبيو يجلس فى المقعد الخلفى ٠ وفتح المنادى باب السيارة ودفع فيل بالقديس ليجلس فى المقعد الامامى ٠

وقال فيل :

ـ مكان الصدارة لضيف الشرف ٠ لا جدال فى هذا الامر ايها الزميل ٠ هذا قرار لا رجعة فيه ٠ ولم تكن لسيمون تمبلار رغبة فى المناقشة ٠ وجلس فى استرخاء الى جوار اياننا وآمل ان يحس فيل والياس ايزبيو بنفس الاسترخاء ٠

ـ هل تخاف من ان تقود العربة امرأة ؟

هكذا تساءلت حينما وصلوا الى منحدر بين بعض الاشجار الكثيفة ٠

وأجاب سيمون تمبلار :

ـ لا أحس بالكثير من الخوف حين أجلس بجوارهن ٠ وحينما لا يكون هناك شيئا يستحق الاهتمام الا أن يستطعن المحافظة على عربتهن ٠ آمل ان تكون هذه السيارة ملكك ٠

ـ لقد اهدانى الياس اياها لاذهب بها الى روما · وكما ترى فان مقعد السائق الى اليمين ·

فرد بابتسام :

ـ اننى سعيد للغاية انك ادركت انهم يسيرون هنا الى اليسار · وعلى الياس ان يعمل طوال حياته بلا أجر اذا اراد ان يشترى لك اخرى اذا اصاب هذه السيارة عطب ·

ـ اننى لن أدعه يفعل ذلك بالرغم من أنه رجل ثرى · انه يكسب كثيرا ولا ينفق بيزة واحدة مما يكسب ·

وقال ايزبيو برقة :

ـ لم أتعلم ان اعامل النقود كما يعامل الناس الصحف القديمة ·

وعلقت زوجته قائلة :

ـ ولا ان تدفع ما عليك من ضرائب ·

واتجهوا ناحية الشمال · وكانت السيارة تسير ببطء غريب كأنها انما تسير لان الطريق منظم ومرتب لا لانها صنعت من اجل ان تسير ·

وتساءل سيمون تمبلار بدهشة :

ـ الى اين تتجه الان ؟

فردت ايانثا :

ـ الى سانت البانز اولا ·

وفكر فى الامر ثم قال :

ـ توجد بعض الاثار الرومانية هناك · ولكنك سترين اثار اعظم واجمل حينما تذهبين الى روما نفسها ·

ـ وقد ذكر رسل أن بها كذلك معالم عريقة ·

ـ ولكنها مقصورة على عدد من الزوار بحيث لا يمكن للجميع ارتيادها ·

ـ ولكن ماذا عن البوابة الحريدية ·

ـ فرد فيل قائلا :

ـ سوف نخبرك عن كل ما يتعلق بالقفل فيما بعد ٠

سوف نحظى بعشاء جيد أولا ثم نطلعك على كافة تفاصيل الموضوع ٠

ووصلوا الى مطعم نوك وهو مطعم على الطراز الانجليزى ويقدم الاصناف التى يعشقها الانجليز ٠ وطلب ايزبيو كئوس المارتينى يفضلها على جميع المشروبات الاخرى ٠ وطلبوا بعض المسالمون واللحم المشـوى ٠ وكانت وجبة لذيذة للغاية ٠

كان الحديث مريحا للغاية ولكنه كلام عام لا اهمية له مطلقا وبدأ على ايزبيو انه بعيد عن جو الحديث بأفكار ومشاغله الخاصة ، وكانت استجابته القليلة للموقف موضع ملاحظة الجميع ٠ وكانت جلسة مسلية للغاية والطعام لذيذ جدا الا ان ما أثار سيمون تمبلار هو الهدف من هذه الدعوة وما وراءها ٠ وأخذ يقلب الامر على وجوهه ويحاول معرفة هذه المهمة التى يطلبونه من اجلها وكان يذكر نفسه بأن مجالسيه كلاهما متمرس فى أمور القتل بحكم وظائفهما ٠

اما بالنسبة لرسل فيل فانه بنظرة محلل نفسى دقيق مجرد جزار محترف الا انه يستعمل البندقية بدلا من السكين وكلمة مصارع الثيران بالاسبانية هى بمعنى كلمة قاتل تماما ٠

ولم يكن أمام سيمون تمبلار الا الانتظار ، وأخيرا دفع فيل الفاتورة وخرجوا من المطعم ٠ كانت أمسية من امسيات الصيف الصافية الخالية من السحب والتى لا تحظى بها انجلترا الا نادرا ٠ وكانت السماء مضيئة يتكبدها القمر كأنه ثريا باهرة الضياء ونظر فيل الى القمر باعجاب وقال :

ـ لا يمكن للقمر ان يكون أجمل من ذلك حتى فى كينيا • دعنا نستمتع به ما استطعنا •

وعندما اقتربوا من العربة قالت ايانثا لسيمون تمبلار •

ـ هل لديك مانع من أن تتولى بنفسك قيادة السيارة ؟

ودون ادنى انظار تحركت ايانثا الى المقعد الاخر ، وجلس سيمون تمبلار أمام عجلة القيادة •

ـ الى أين تتجهون ؟

ـ سأسترشد بالخريطة •

ـ واشارت اليه بالاتجاه الى هذا الطريق المرتفع التاريخى والذى يطلق عليه اسم شارع واتلنج •• وكان الطريق ينحدر ناحية الشمال الغربى تجاه القرى التى انشأ فيها الرومان اعظم آثارهم ، وبدا الطريق مستويا كانه بساط مفروش • وكانت هذه الاثار قد شيدها القيصر فى فيزولام التى أصبحت فيما بعد سانت البانز وبينما تتحرك السيارة كان صوت احتكاكها بالارض يـذكر سيمون تمبلار بأيام المغامرات التى كان يخوضها وهو لا يعلم عنها شيئا • واستغرق فى افكاره كلية لمدة لحظات حتى نبهه صوت ايانثا بالاتجاه الى اليسار • ولمح احدى العلامات عندما انحدروا الى طريق جانبى • وحاول ان يبعد عن ذهنه جميع الافكار التى أرهقته فى اللحظات الاخيرة • ولكن بعد ان استدار هنا وهناك فى الطرق الجانبية تاكد من ان الليل يحمل له المزيد من المتاعب والمشكلات • وحينئذ انحنى رسل فيل الى الامام وقال له :

ـ اعتقد ان نتوقف هنا يا صديقى ، فليس هناك مكان امتع من هذا للقيام ببعض الرياضة •

وتوقف سيمون تمبلار بالعربة وقال :
ـ هل وصلنا الى حيث تريدنى ان اكسر قفل البوابة ٠
ـ لقد اقتربنا من المكان جدا ٠ ولكن من المستحسن ان نكمل المسافة الباقية سيرا على الاقدام ٠
ـ الى ويبسناد ؟
ـ تماما ٠
ولم يتحرك سيمون تمبلار من مكانه ٠٠ وقال :
ـ اعتقد ان سرقة زرافة امر مسل للغاية ولكن من الصعب جدا ان ننقلها فى هذه العربة ٠
ـ اننا لن نسرق اى شىء ٠
ـ اذن فلابد ان اعرف ماذا سأفعل تماما قبل ان أتحرك خطوة واحدة ٠٠
وحملق الياس ايزبيو فى وجه سيمون تمبلار ثم قال :
ـ اننا سنتم المنافسة التى اتفقنا عليها بالامس ٠٠ لقد تحدانى ان اصارع حيوانا من ذوى القرون يختاره هو بمعرفته ٠٠
ـ وماذا سيفعل هو مقابل ذلك ٠٠
فأجاب فيل :
ـ سأصرع اى حيوان او طائر له مخالب ولا استعمل سوى رمح بدائى ٠
وعلقت ايانثا :
ـ وطبعا كان لابد من وجود شخص قادر على اجتياز الصعاب وعلى ان يقوم بمهمة رجل الانقاذ وبالتالى لم نستطع ان نفكر فى شخص آخر غيرك ٠
وظل سيمون تمبلار صامتا لعدة لحظات ٠٠ كانت الفكرة فظيعة للغاية ، افظع من اى شىء سمعه من قبل ولذا لم يستطع أن يلتقط انفاسه لفترة من الوقت ٠٠ وكمتفرج لا يمكن ان يرفض منظرا غريبا كهذا ، ولكنه

بالرغم من ذلك احس بالوجل من الفكرة ‥ وتردد فقط حتى يستطيع التفكير فى الاسباب التى سيستند اليها فى ان الامانة والواجب يتطلبان منه ان يوقف هذه المهزلة ولكنه يعلم أن المباراة ستتم دونه أو بوجوده وأنها ستقرر ربما فى وقت آخر ولذا فضل أن يحضر المباراة ·

وقال آخر الامر :

ـ وهو كذلك ‥ ولكننا لن نستطيع الدخول من البوابة الرئيسية ·

ـ هل تعنى انك لا تستطيع ‥ احقا تقول ذلك ؟

هكذا علق رسل فيل بنبرته الغريبة التى تثير المرء وتدفعه الى أن يقف موقف المدافع عن نفسه ·

ثم أضاف قائلا :

ـ وانا الذى سمعت عنك انك اشهر لص عرفه الناس منذ رافليز ‥

فرد سيمون تمبلار بهدوء :

ـ اننى اعظم منه · ولكن الدخول من الباب الرئيسى حماقة لاشك فى ذلك ‥ هناك حراس للاقفاص فى كل مكان · والحيوان الوحيد الذى سيستطيع الحصول عليه بسهولة انما هو كلب الحراسة ‥

ـ هكذا يتحدث الخبراء · ولكنى على يقين تام من ان حل المشكلة بيده ‥

وقال سيمون تمبلار ببطء :

ـ لقد حضرت الى هنا مرة منذ بضعة سنوات · واتذكر انه فى الجانب البعيد من الحديقة والذى يتجه الى الشمال الشرقى هناك حظائر مبنية على بعض المرتفعات ونستطيع الالتفاف حولها وتستطيع ان تخرج من الحديقة عن طريق منحدر لطيف تحيط به المناظر الرائعة من الحقول والمروج الخضراء وهناك طريق معين

فى هذه المنطقة أعتقد اننى أستطيع تذكره · وأعتقد انه ما دام العزم قد استقر على الدخول وسلوك اى السبل لذلك فاننا اذا وجدنا الطريق فسيكون من السهل أن نتسلق التل ونصل الى الحديقة من الخلف ·

وسلمته ايانثا الخريطة · واخذ يدرسها تحت ضوء مصباح العربة الخافت الضوء ·

ثم واصل قيادة العربة ثانية ··

ولم ينطق احدهم بكلمة واحدة حتى توقف مرة اخرى بالسيارة · وخرج من السيارة ليتفحص البوابة بامعان ·

وقال :

ـ من الممكن ان تعالج هذه الالة البوابة ·

وفتح ايزبيو شنطة العربة واخرج منها حزمة من الملابس المطوية ورمحا قصيرا لامعا سلمه لفيل · وفتح سيمون تمبلار البوابة وتبعوا ايانثا الى الداخل ·

وساروا لمسافة ثلاثة أرباع ميل فوق حشائش برية من الصعب اجتيازها · وكان ايزبيو يسير بخطوات واسعة ولكن بطيئة حتى لا يجهد قبل المباراة التى ينوى دخولها ولكن سيمون تمبلار لاحظ ان شيئا من هذه الاخطار التى تقلق ايزبيو لم تخطر ببال فيل · اما ايانثا لامب التى كانت ترتدى سروالا من سراويل الفلاحين وحذاء برقبة والتى اختارت ثيابا مناسبة للموقف للغاية فلم تبد اى تذمر من الموقف ·· واجتازوا ثلاثة اسوار من الاسلاك الشائكة فى طريقهم ، بلا صعوبة تذكر ·· وبعد ان اجتازوا حوالى خمسين ياردة بدا ضوء القمر ساطعا ومناسبا تماما لمباراة كرة قدم ·

ولكن سرعان ما خفت ضوء القمر حين اقتربوا من الظلال السوداء للاشجار والشجيرات التى تفطـــل

المساحة الباقية من المرتفع · وفجأة ، سمعوا عن قرب صوتا مذعورا يعبر عما فى غريزة الانسان من محافظة على الذات ··
وهمس رسل فيل :
ـ اسد ·· انه سيكون مرشدا جيدا لنا ·
وقال سيمون تمبلار :
ـ لقد اوصلتكم الى الداخل وعليك أن تقوم بالباقى ·
وفى لحظات كانوا فى اتجاه طريق ضيق ، واحد من الطرق المعدة للعربات التى تنقل الطعام للحيوانات بالمرور ·
وقال فيل :
ـ أعلم أين نحن الان · فقد حضرت الى هنا صباح اليوم وقمت بجولة حول المكان ·
وقادهم فى طريق طويل ثم اتجه بهم الى اليمين الى ممر آخر تحف الاشجار بجانبيه · وساروا ببطء لبعض الوقت لظلام الطريق بسبب الاشجار ثم بسبب بعض المبانى المشيدة للوحوش · ومرة أخرى خرجوا الى العراء ثانية ووجدوا أمامهم سورا من الاشجار الضخمة المتكتلة · وكان السور يحيط بمساحة واسعة تبلغ حوالى مائة ياردة فى الطول وخمسين ياردة فى العرض وعلى أحد جانبيه بناء ضخم جدا يشبه الحظيرة ··
ووقفوا تحت ضوء القمر الساطع ، خاشعين متأملين بلا حراك ·· وفى الجهة المقابلة لهما كان هناك حيوان ضخم الجسم بصورة مفزعة ·
وحرك فيل يده مشيرا للحيوان ·
ـ ها هو غريمك يا الياس فلترينا ماذا ستفعل معه ·
وقالت ايانثا لاهثة :
ـ أنه الخرتيت ·

ـ يا للروعة . لقد وصل فى الاسبوع الماضى فقط ولم يتعود بعد الحياة الاليفة .

ـ ولكن هذا ليس ..

وأشار فيل اليه قائلا :

ـ أن له قرونا . اثنان . تستطيع رؤية قرونه من هنا . أنهما موجودان فى الوسط بدلا من أن يكونا على جانبى رأسه كالثور، وهذا يجعل الامر أسهل ، ولكنه يناسب شروط الاتفاق . وهذا بالطبع اذا استطاع الياس أن ينجو ويفوز بالجائزة .

ووقف مصارع الثيران ينظر الى الخرتيت ، بلا حراك كالوحش نفسه . ولم يظهر ضوء القمر أىتغير فىاللون وانما استحال وجه ايزبيو الى قناع من المعدن الجامد وعيناه تلتمعان فى رأسه كالصخر الجامد .

وتسلق بحذر فوق الحواجز وبدأ يسير الى الامام فى بطء .. وفى هذا السكون الشامل استطاع سيمون تمبلار أن يتسمع أصوات أنفاس رفاقه .

وأتاح الخرتيت لايزبيو أن يتحرك عدة ياردات وقد تحولت نظرته الجامدة الى ايزبيو مباشرة .. وتذكر سيمون تمبلار أنه قرأ من قبل أن الخرتيت لا يرى الا عن قرب . ولكن اذا كان الامر كذلك لاتجه بصر الحيوان مباشرة الى غريمه . ولكن بدلا من ذلك ظل الخرتيت لبضعة دقائق بلا حراك اللهم الا حركة ذيله .

ووقف ايزبيو وقد لصق قدماه ببعضهما وتحرك الى أحد الاركان قليلا وطرح معطفه الاسود على كتفيه كما يفعل تماما فى مصارعة الثيران .

وبدأ الخرتيت يكمل مسيرته . كانت أرجله الضخمة

تبدو كأنها تتحرك ببطء شديد الا أن منظره كان خادعا اذ كانت حركته الى حد ما سريعة · ولم يكن هنـاك وقت لاكتشاف مسيرة الخرتيت الذى لم يلبث فى خلال دقائق أن اقترب من ايزبيو تماما · وتحرك ايزبيو فى تناغم وعلى كتفيه معطفه يقود الحيوان خلفه برشاقة ولكن بخطى سريعة ·

وقفزت ايانثا من الفزع رغما منها ··

وسار الخرتيت فى خطوات قصيرة وظل يدور فى دائرة معينة لمدة لحظات ثم قفز مرة أخرى ·ومرة ثانية قاده ايزبيو وراءه بسرعة مذهلة اقترب الحيوان من ايزبيو كأنما تنجذب أنفه بمغناطيس خفى لملابس ايزبيو ··

ودار الخرتيت فى الحلقة مرة أخرى وبدت خطواته أكثر سرعة واستعد لهجوم ثالث دون توقف ·

وفجأة صرخت ايانثا لامب ، صرخة قصيرة حادة كما لو كان وحشا قد مسها ·

وحرك ايزبيو رأسه ناحية الصوت مما قسم تركيزه لبعض الوقت · ومن المكد أنه كان يحاول الاقتراب من الحيوان ولكن يبدو أنه لم يقدر صغر حجمه بالنسبة لحجم حيوان يصل وزنه الى ثلاثة أطنان وعرضه كعرض مركب ·· واستطاع ايزبيو أن يتفادى قرون الوحش ورأسه ولكنه استطاع أن يمسكه من كتفيه ويطوحه جانبا كأنه ذرة من تراب تذروها الرياح · وسقط على مسافة ثمانية أقدام من الحيوان ورقد ووجهه مدفون فـى الوحل ·

وقد حدث أشياء عدة فى لحظات قليلة من الزمن يجب أن يعرفها القارىء ··

ونظر سيمون تمبلار الى فيل وقال :
ـ ان هذا من فعلك وتدبيرك · دورك الان فى القتال ·
ـ ليس أنا يا عزيزى · أنه مجرد رهان · اننى لست خبيرا بذوى القرون : لقد راهنت على المخالب فقط ·

وأمسك سيمون تمبلار بالرجل من كتفه بيد ولكمه باليد الاخرى لكمة قوية فوق أسنانه فترنح الى الخلف ثم سقط ·

وفر الدم من وجه ايانثا ·
وجرى سيمون تمبلار الى أسفل مسرعا ·

وحدث ذلك بينما الخرتيت يحاول أن يجدد الكرة مرة أخرى على هدف جديد · ولمح الخرتيت سيمون تمبلار وهو يجرى نحوه فوجده هدفا مسليا لاثبات قوته ·· وصرخ صرخة مدوية وجرى ليقابل سيمون تمبلار ··
وحاول سيمون تمبلار أن يجرب احدى الحيل التى يقوم بها المصارعين حين يقدمون على مباراة ما · وتحرك يمين الحيوان ، وأصبح ايزبيو على يساره · وفى اللحظة الاخيرة انحنى قليلا ودار على عقبيه الى اليسار مرة أخرى وأخذ يراوغ الخرتيت الذى صرخ من شدة الغضب حتى بدا كأنه فقد القدرة على استجماع شجاعته أمام مراوغة سيمون تمبلار وبراعته ·

وحينئذ اقترب سيمون من المعطف فالتقطه من جانب ايزبيو ثم أطاح به فى الهواء كما سبق أن تعلم من بعض أصدقاءه المحترفين فى المصارعة · وبنظرة من طرف عينه استطاع أن يلمح ايزبيو وهو يتقلب على جوانبه ويناضل من أجل أن يأخذ وضعا مريحا محاولا أن ينهض على يديه وركبته ··
ـ ألا بارير !!

هكذا صاح سيمون تمبلار فى القيام بحركات مصارعى الثيران الاسبان واقترب حينئذ من ايزبيو فقال على الفور :

ـ سوف أبعده عن طريقك · ولكن أسرع على قدر امكانك !

وانقض الخرتيت عليه كالقطار السريع ولم يعبأ بشيء فى طريقه · وهز الارض بخطواته كأنه قطار ضخم خرج من فوق القضبان · ولكنه استطاع على نحو ما أن يقهقره الى الخلف بواسطة معطفة ··

وقفز ووثب ولف حول نفسه ثم عاد مرة أخرى الى الاقتراب من سيمون تمبلار ومرة أخرى استطاع سيمون تمبلار أن يبعده عن طريقه بأن نشر المعطف أمامه فاحتجب عن ناظريه ··

اذا حدث وصرخت ايانثا لامب مرة أخرى فانه لن يطرف بعينه وسيكتفى بالضحك والسخرية من ألاعيبها ·

واستطاع سيمون تمبلار أن يلمح ايزبيو يزحف بألم ولكن محاولا أن يضاعف جهده ليصل الى السور وتأكد تماما من أنه لن يقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه المصارع · ان ايزبيو كان سيلاقى حتفه حتما ان لم يذعن لهذه المباراة المدبرة ربما بطلقة أو بحادث سيارة يفسر على أنه قتل خطأ ··

ومرة ثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وأكثر من ذلك استطاع سيمون تمبلار أن يراوغ ويحاور ويفلت من قبضة الحيوان وكان يلف بسرعة ويعود مرة أخرى برشاقة وخفة بحفزه الخوف والفزع من الموقف وكانت طريقته أشجع من أن يستطيع ثور متمرس أن يقهرها ·· ولكن حركاته لم تكن لتخلو من النقد لو حدث ورآه واحد

من المصارعين المحترفين · ولكن هذا كان نقدا فى غير محله بالنسبه للموقف الذى يجتازه سيمون تمبلار الان كان شغله الشاغل فى هذه اللحظات أن ينقذ حياته وفوق كل شيء اسمه وشهرته حتى لا يقال أنه افلت من جميع من قابلهم من محترفى القتل وأرباب السوابق ثم صرعه حيوان له قرون ·

وعلى أى الاحوال فانه قادر على أن يطيل مدة العرض حتى يستطيع ايزبيو أن يتحامل على نفسه ويصل الى البوابة ·· وحينما اطمأن الى أن كل شيء قد سار على ما يرام وأن ايزبيو قد أصبح فى أمان تراجع الى الخلف ثم الفى بالمعطف فوق رأس الخرتيت ليخفى عينيه للحظات ثم تدحرج على الارض وجرى الى الخارج كطفل مذعور ·

ووجد عددا كبيرا من الأشخاص على الباب ـــ أكثر بكثير من العدد الذى تركه قبل دخوله ، رجال فى ملابسهم الرسمية وغير الرسمية · وقد أحس بالخوف والقلق من وجودهم ولكنه كان مشغولا للغاية بحيث لم يلق بالا اليهم ··

وسأل أحد الضباط بحدية :

ـ ماذا كنت تفعل بالداخل ؟

وأجاب سيمون تمبلار بلا مبالاة :

ـ أقوم بوظيفة الحكم فى منافسة سخيفة حمقاء ·· أعلم أن ذلك حماقة منا وشقاوة ولكن لم يصب احدنا بضرر ·

وحرك الحارس بطاريته من فوق وجه ايزبيو الذى كان واقفا ينظف فى معطفه الى وجه فيل الذى كان يحيط فمه بمنديل أحمر اللون من أثر الدماء التى تغطيه ··

ـ وماذا عن هذا الرجل ، ماذا أصابه ··

ـ لقد حاول أن يقفز من فوق السور حين وجد زميله في محنة فأصيب بخدش بسيط ولم يحدث شيء ذو بال ··

وتركز الضوء مرة أخرى فوق وجه ايانثا لامب ورمقها أحدهم فصاح صيحة فزع وتعجب وقال :

ـ من هذه ، أحقا هي ··

فرد سيمون تمبلار :

ـ نعم انها هي .. واعتقد أنك تحرص على ألا تمس سمعتها بسوء · ونحن تحت أمرك فيما تطلب ولا داعي للاشكالات ولننسى كل ما حدث الان ··

لم يجر ثمة حديث ما بينهم في طريق العودة الى المدينة ·· وبعد أن أجتاز سيمون تمبلار التل ووصل بالعربة الى مدخل المدينة الرئيسى بدأت ايانثا تقود العربة مرة أخرى وسيمون تمبلار الى جوارها · وحاول أن يدع ايزبيو يجلس بدلا منه ··

فقال مصارع الثيران ·

ـ لا ·· انني في أتم راحة · ان المقعد الامامي أنسب لك بسيقانك الطويلة ·

ولم يشر من قريب أو بعيد الى سيقان رسل فيل الطويلتين ·· لقد شعر أن من اللياقة ألا يدع سيمون تمبلار ورسل يجلسان الى جوار بعضهما ولذا لم يشر الى فم رسل المجروح بسؤال وبدا أن فيل نفسه قد وجد من الانسب عدم تجديد الحديث أمام ايزبيو ·

ـ أرجو أن توصلوني فقط الى حيث تسكن أختي ·

هكذا علق فيل عندما وصلوا الى طريق آيس وكان من الواضح أن ايانثا تعلم مكان المنزل تماما · ونزل فيل من العربة ثم قال :

ـ عمتم مساء ·· سأتصل بكم تليفونيا في الغد ·

ونظر الى سيمون تمبلار وقال له بلهجة ذات مغزى :

ـ أمل أن نلتقى قريبا مرة أخرى ٠٠ قريبا جدا ٠٠

ـ وقتما تشاء ٠٠

قالها سيمون تمبلار بنفس اللهجة التى سبق أن نطق بها هذه العبارة لايانثا لامب ٠

وقادت العربة متجهة الى كلاريدج فقال ازبيو :

ـ سأترككما الان ، ولكن لابد أن تصحبى سيمون تمبلار ، الى المنزل ٠

ورد سيمون تمبلار :

ـ لا يمكن هذا ٠ سوف استقل سيارة أجرة ، أو ربما فضلت قطع المسافة سيرا على الاقدام ٠ انها يجب أن تعتنى بك وتشرف على رعايتك .

فعلق ايزبيو ببرود :

ـ كلام فارغ ٠٠ اننى بخير تماما ٠٠ بعض الكدمات ولا شىء غير ذلك ٠ سوف آخذ حماما ساخنا وفى الغد سأكون على ما يرام ٠ ان مابى لا يساوى شيئا مما يقابلنى فى حلبة المصارعة ٠٠

وترك السيارة فعلا واستند بمرفقه على زجاج النافذة التى يجلس سيمون تمبلار بجوارها ٠

ـ اننى أصر على ذلك ٠ لقد أنقذت حياتى الليلة فليس أقل من أن تصحبك الى المنزل ٠

وابتسمت الشفاه الرقيقة ببرود ولكن بالرغم من الاعياء البادى عليه فقد كانت عيناه تلمعان كالحجر الملتهب وقال لسيمون تمبلار .

ـ أنت تصلح لان تكون مصارع ثيران ممتاز ٠٠ أنت تتقن جميع فنون المهنة ٠٠

واختفى مصارع الثيران وتمدد سيمون تمبلار فى كرسيه على قدر ما سمحت رجليه بذلك ٠٠

وتكلمت ايانثا بعد طول صمت :

ـ هل تتقن فعلا فنون مصارعة الثيران ٠
وقال بمنتهى الهدوء واللا مبالاة ٠٠
ـ أنه مفهوم لا تعرفينه أنت تماما ٠ ان هذا الفن يجعل المرء يستطيع الحركة فى الاتجاه الصحيح دائما ٠
فحينما يجد أن بحرا قد جمده الثلج واصبح غير صالح للعبور يستطيع الحركة بسرعة وعبور نهر آخر يوصله الى شاطىء الامان ٠
فردت قائلة :
ـ أو ربما يجعلك ذلك تبحث عن بطل انقــاذا لسمعتك حينما تتلفت حواليك فلا تجد أحدا ٠
فعلق سيمون بدهاء :
ـ ان رسل ليس بجبان فلا تبيعيه بأرخص ثمن ٠
ـ ولم أذن لم يدخل معك فى عراك طويل بعد أن أصبته بجرح عميق ٠
ـ لان من الاسلم بالنسبة له أن يفعل ذلك حتى لايتهم بأنه ألقى بايزبيو الى حتفه وبالمناسبة لماذا صرخت على هذا النحو ٠
ـ لم أستطع السيطرة على أعصابى ٠٠ لقد أحسست بشىء يلمسنى ويقترب منى ٠ وفى هذا الجو المليء بالافاعى والحيوانات المفترسة كان من الطبيعــى أن اتصور أن اللمسة من ثعبان أو شىء من هذا القبيل ٠٠
ـ وهل كان ذلك ما تفكرين فيه قط ٠٠
ـ وربما دفعنى الى ذلك رسل ٠٠
وتنهد سيمون تمبلار :
ـ من المحتمل ٠ لم أحاول سؤاله لانه كان سينكر حتما ، ولكن شخصا ما يريد موت الياس ، انها لنشوة أن يحدث ذلك ٠٠

ـ أنت رائع ..

ـ اننا نحييك بصفتنا ضحاياك . لقد قلت أنك ولدت فى زمن ليس زمنك فأنت معجزة القرن لا شك . فاذا حدث ومات الياس فكان من المحتم أن ندخل أنا وفيل فى عراك حول موته . واذا قتلت فيل فربما أصبحت فتى أحلامك أو ربما ظهر نجم آخر فى الطريق كأهل الكهف تماما ..

ونظرت الى أحد المحال العامة وقالت له متجاهلة الامر برمته :

ـ فلنذهب الى هناك ..

ـ آسف .. اننى لن أكون أحد ضحاياك ..

وبحركة رشيقة تحرك خارجا من العربة وحملقت فيه مذعورة ومندهشة ..

وقالت بصوت خفيض غير مصدق :

ـ لم يسبق لاحد أن قهرنى أو قاومنى ..

فقال بوقاحة :

ـ ولذلك فأنا الرجل الوحيد فى حياتك الذى ستظلين طوال حياتك تحلمى به ولا يغيب عن بالك مطلقا أو تستطيعين نسيانه وهناك شىء آخر لابد أن تتذكريه .

ـ ما هو ؟

ـ ليس من اختصاصى أن أعرف الطريقة التى ستحلين بها مشكلتك مع الياس . ولكن لو حدث وسمعت عن حادثة وقعت له ونسبت للقدر فلابد أن أفسر الامور واضع النقط فوق الحروف .. وتأكدى أنه مهما كان تفسير الامر فسوف أرتب حادثة لك تلقين فيها حتفك فورا .. أرجوك الا تنسى ذلك الامر يا عزيزتى ..

والقى لها بقبلة من بين أصابعه وابتسم وسار متجها الى الفندق ..

القسم الثالث

الجريمة الكاملة

لم يكن سيمون تمبلار يستطيع احتمال البلهاء أو كثيرى الكلام ببساطة ولكنه لم يكن فى يوم من الايام ينكر أن أكثر الناس تفاهة يمكن أن يكون لديه شيء قد يتضح أنه مفيد حتى بعد وقت طويل وبطريقة غير متوقعة ..

أنه مفيد حتى بعد وقت طويل وبطريقة غير متوقعة ··

وهكذا لم يكن تمبلار يحب الدكتور ويلموت جافرز ، الذى التقى به فى احدى حفلات الكوكتيل فى لندن ، ولكنه مع ذلك وقف يتحدث اليه ، أو بالاحرى ، وقف ينصب اليه وهو يتحدث مكتفيا بأن يصدر بين الحين والاخر بعض الهمهمات الغامضة التى تدل على متابعته لحديث الدكتور ··

قال الدكتور جافرز بطريقة لا تقبل المناقضة :

ـ لقد صادفتنى مؤخرا احدى الحالات التى كان خليقا بها أن تثير اهتمامك حتى أننى قلت لنفسى وقتها · هذه ولا شك قضية خلقت لسيمون تمبلار

ورد تمبلار فى أدب : ياه ·· الهذا الحد ؟

ـ طبعا ·· ولكننى لم أتصور أنه ستتاح لى الفرصة لكى أعرف أن كنت ستستطيع حلها ·· أما الان وقد التقينا فان عليك أن تثبت لى أنك على هذا القدر من الذكاء الذى يروونه عنك ··

ـ لا شك أننى سأفشل ··

ومع ذلك ·· فلم يكن الدكتور جافرز ليثنى عن غرضه · أنه قد يكون كفؤا ومهتما بمهنته ومرضاه ، وقد

يكون مثابرا ودؤوبا فى عمله كطبيب ... لكنه كفرد كان من ذلك النوع العدوانى المعتد برأيه والذى لا يستطيع أن يثبت تفوقه الا من خلال الحط من قدر شخص آخر ..

وهناك عينات من البشر لهم نفس العقلية ، فهم عندما يتناولون شيئا من الخمر يكسبهم الشجاعة ويرون بطلا سابقا أو ربما حاليا من أبطال الملاكمة فى أحد البارات يحاولون أن يثيروا معه عراكا عالمين أنهم لن يخسروا شيئا من وراء ذلك .. فاذا رفض البطل التحدى .. فهو جبان .. واذا استطاع صوتهم العالى أن يرهب البطل ظل هذا الجعجاع يفخر بالموضوع الى الابد .. أما اذا أعطاه البطل العلقة التى يستحقها فهو فى هذه الحالة ليس الا تافها لانه تشاجر مع رجل لا حول له ولا قوة .. حتى الممثلين الذين يلعبون الادوار العنيفة أمام كاميرات السينما أو التيلفزيون لكى يكسبوا ما يقيم أودهم من اناس يريدون أن يثبتوا للعالم أن هؤلاء المملثين ليسوا أقوياء كما يبدون فى الروايات .

دارت كل هذه الافكار فى رأس تمبلار بينما كان الدكتور جافرز يستطرد قائلا :

ـ اليك الموقف .. ان الضحية رجل فى الثامنة والثلاثين من عمره .. متزوج .. وله طفلان .. ناجح فى عمله .. لم يصب بأى مرض خطير فى حياته .. ولكنه بدين نوعا ما .. ويستدعى عمله أن يقيم كثيرا من المآدب للعملاء حيث يقدم لهم الطعام والشراب .. ومشكلته الكبرى أن الشراب الذى يضطر الى تناوله كثيرا ما يكون أكثر مما يستطيع احتماله .. فهو ليس سكيرا .. ولكنه كأى جنتلمان يضطر الى مجاراة مدعوية حتى أنه يأوى الى فراشه مرتين أو ثلاث مرات كل أسبوع وهو سكران ..

ـ وماذا بعد ؟

ـ وذات مساء ·· وبعـد أن صحب أحـد عملائه الاجانب الى العشاء ثم الى ملهى ليلى عاد الى منزله ونام فى حجـرة المكتب كمـا كان يفعل دائمـا عندما يتأخر ·· وكانت زوجته تقدر ظروفه فلم تكن تنتظره ·· وفى اليوم التالى استيقظ متعبا كالعادة ·· ولكن الامر كان أسوأ من المعتاد ··

ـ لابد أن الليلة كانت حافلة ··

ـ كان يحس بالصداع والغيثان المعتادين ·· ولكن بطريقة أكثر حدة من كل المرات السابقة ·· وكان يسعل بشدة ولو أنه لا يتذكر أنه دخن عددا من السجائر أكثر كثيرا مما اعتاد تدخينه ·· ومن الطبيعى أنه لم يحس يميل لتناول الطعام عند الافطار ولكنه لم يتحسن خلال اليوم ·· وبمضى الوقت كانت حالته تزداد سوءا ·· فلم يستطع تناول أى طعام ·· بينما أصفرت عيناه ·· وفى اليوم التالى اعتقدت زوجته أنه ربما أصيب بالصفراء فاستدعتنى ·· وفى ذلك الوقت كان قد بدأ يعانى من احتباس البول ·· وفعلت كل مابوسعى ·· ولكنه مات بعد يومين ··

ـ أنه ضحية أخرى من ضحايا المجاملات ·· أظن أن زوجته من حقها أن تقاضى الحكومة لانها بنظـامها الضريبى تجعل رجال الاعمال يسرفون فى مجاملة كل منهم للاخرين حتى ينفقوا أكبر قدر من الاموال قبل أن تأتى الضرائب لتستولى عليه ·· وتكون النتيجة فى مثل هذا الحادث ··

وزوى الدكتور جالمرز مابين حاجبيه · كان مـن الواضح أنه لا يوافق على المزاح ·· على الاقل عندما يقلل هذا من الاهمية التى يعلقها على حديثه ·· ثم

استطرد قائلا :

ـ وكنت قد فحصته فحصا شاملا قبل الوفاة بثلاثة أسابيع فقط ·· ولم يكن قد بدأ يفرط فى الشراب منذ مدة طويلة ومن ثم لم يكن قد حدث له تلف يستعصى على العلاج ·· كان كبده وكليته فى حالة جيدة ·· ولم يكن يعانى من أى مرض فى القلب ·· والواقع اننى كنت مستعدا لان أشهد فى أى مكان أنه لم يكن يعانى من أى مرض عضوى ··

ـ أعتقد أن كل انسان معرض للخطأ ··

ـ الا أنا يامستر تمبلار ·· اننى لا أقع فى مثل هذا الخطأ الجسيم ·· والواقع أننى حماية لسمعتى طلبت بالحاح أن يجرى تشريح للجثة ·· ووافقت زوجة الضحية وجاءت النتيجة فى صفى تماما ·· فلم يكن المسكين يعانى من أى مرض مزمن ·· ولو أنه كان قد لاحظ طعامه وقلل من الشراب ومارس قليلا من الرياضة ·· لما كان هناك سبب لان يموت فى مثل هذا السن ·· ولكنه مات بسبب هبوط حاد فى الكلى ··

ـ اذن فقد دس له السم ··

ـ واضح جدا ·· ولكن أى سم ·· ؟

ـ لا أعلم ·· اننى لم أقتله ··

ـ سوف أزيد الامر وضوحا ·· لقد سمم بشىء يستطيع أى انسان أن يشتريه بدون أى قيود ·· وهو شىء تجده فى معظم البيوت ولكنه لا يعتبر ساما على الاطلاق ·· وهو بالفعل ليس ساما ·· ولكن هذا التسمم كان حادثا عرضيا اذ حدث نتيجة ظرف منفصل تماما ضمنته حديثى لو أنك كنت تصغى اليه بانتباه ·

ـ ولكننى لست خبيرا بالسموم يادكتور ·· خبرنى أنت ··

وقال جافرز وقد تملكه زهو شديد ··

ــ سوف أعطيك مفتاحاآخر .. لقد كانت هناكبقعة أحمر شفاه داكنة على ياقة المعطف الذى كان يرتديه فى آخر ليلة ·· ولكنه أصر ــ وأنا أصدقه فى ذلك ــ أن هذه كانت مجرد مداعبة من احدى فتيات الصالة فى الملهى الليلى الذى صحب اليه عميله ··

وهز تمبلار كتفيه ثم قال : اننى أسلم ··

وهز جافرز رأسه ، واضاء وجهه بابتسامة مشرقة دلت على أن زهوه واعتداده بنفسه قد بلغا مداها ثم قال :

ــ لا ياعزيزى ·· انك لم تسلم ·· انك لم تحاول جادا أن تفكر فى الموضوع ·· اننى أريد اختبار ذكائك · ففكر فى الموضوع برهة أخرى ··

وتحرك مبتعدا عنه ، تاركا تمبلار سعيدا بأنه قد تحرر منه فى النهاية وبأنه يستطيع الان أن يتجه الى تلك الشقراء الفاتنة التى كان يرقبها فى الركن الاخر من القاعة منذ فترة ··

ولا حاجة بنا الى القول أن تمبلار لم يفكر فى لغز الدكتور جافرز للحظة واحدة ، ولكن الدكتور جافرز لم يكن ممن يمكن التخلص منهم بسهولة ·· فبعد ساعة عاد مرة أخرى الى حيث كان القديس يتابع الموضــوع بلا رحمة ·· قال :

ــ هل عثرت بالاجابة ؟

ــ لا ·· ماهى ؟

وابتسم الطبيب باعتداد ثم قال :

ــ أنك لم تركز فكرك بعد على الموضوع ·· لقد كنت أرقبك ·· ومن سوء الحظ أننى مضطر للانصراف الان

ولكننى لن أتركك هكذا ببساطة ·· بل سوف أترك معك المشكلة ·· ولا أشك لحظة فى أنها ستفرض عليك نفسها فيما بعد عندما تاوى الى فراشك أو تستيقظ فى الصباح ·· وعندما لا تستطيع احتمالا فما عليك الا أن تتصل بى ··

وناول تمبلار بطاقته واستطرد :

ـ سوف نتنارل العشاء معا وأشرح لك الامر ·· أو اذا حدث ووفقت الى الحل ، فان لدى عددا آخر من المعضلات العلمية التى ربما يروقك أن تجرب فيها ذكاءك ·· أننى أتوقع أن تتصل بى يوما ما ··

وانصرف مرة أخرى وقد انتفخت أوداجه ·· ووضع تمبلار البطاقة فى جيبه وقطع على نفسه عهدا ألا ينظر اليها مرة أخرى وألا يضيع لحظة واحدة بعد ذلك فى التفكير فى تلك المصادفة الكيميائية التى تعرض لها مريض الدكتور جافرز ··

ورغم أن خبرته كان يجب أن تكون قد علمته منذ أمد طويل خطر مثل هذه القرارات المتسرعة ، ألا أنه كان يحس أنه فى هذه الحالة على الاقل لن يكون هناك ما يستفيده ·· ولقد ظل القديسمتمسكا بقراره الخاطىء بضعة أسابيع انشغل خلالها بأمور أخرى لم تدع له وقتا يضيعه فى الغاز لم تكن تعنيه بشكل عاجل ·

وذات مساء عاد تمبلار الى جناحه فى فندق جورج الخامس فى باريس ·· وكان الوقت متأخرا جدا فألقى بتحية مساء عابرة لاحدى الخادمات التى رآها فى الممر مرتكزة على ركبتيها تقوم بأعمال النظافة ·· ولكنه لم يكد يخلع ردائه ويفك ربطة عنقه حتى سمع طرقا خفيفا على الباب الخارجى وعندما فتحه رأى نفس الخادمة

التى كان قد مر بها فى طريقه ..

وابتدرته الخادمة فى عصبية ظاهرة :

ـ هل لى أن أتحدث الى السيد لحظة واحدة ؟

ـ بكل تأكيد ياسيدتى ..

ودخلت .. كانت امرأة وخط الشيب شعرها وقد أضناها التعب وأحالها حطاما من جلد وعظم واصرار لا يلين ... ومع ذلك كان يشع من عينيها الكبيرتين الغائرتين بريق من كبرياء عظيم .

قالت عندما أغلقت الباب وراءها :

ـ اننى أعرف من أنت يامسيو تمبلار ان الجميع هنا يتحدثون عنك .. لقد انتظرت ليالى طويلة لكى أغتنم فرصة اللقاء بك فى لحظة مناسبة ..

وسألها تمبلار : وماهى مشكلتك ؟

ـ انها قصة طويلة ، ولكننى سأحاول اختصارها .. ان اسمى ايفون نورفال .. كان لى زوج فى يوم من الايام وكان اسمه نورفال ، وهذا هو نفس اسم ابنتى دنيس .. ولكنه قتل منذ زمن بعيد فى الجزائر .. بعد التحرير .. وتبلغ دنيس الان ستة عشر عاما ، فهى قد ولدت فى اليوم السابق لابلاغى بخبر وفاته .

ـ ربما كان فى هذا بعض العزاء .. ولكن لابد أنه كان أمرا شاقا أن تتحملى وحدك عبء تربية ابنتك .

ـ نعم .. كان أمرا شاقا للغاية .. فمرتب الجاويش الفرنسى ، فى أحسن الاحوال ليس كبيرا .. فما بالك بمعاش أرملته .. ولكننا كنا نتحرق شوقا الى طفل .. وكنا نمنى نفسينا بأنه لو حدث وأنعم الله علينا بطفل كانت التضحية .. فلم يكن أى منا قد حظى بالكثير .. ولكن لابد أن يأتى وقت تستطيع فيه كل أسرة أن تحسن

ظروفها ·· اذا كان الابوان مصممان على أن يقدما لاطفالهما أكثر مما قدم لهما ·· وبعد أن فقدت زوجى اصبح هذا الامل يطاردنى ·· وعندما ولدت دنيس لم أكن قد تجاوزت السابعة والعشرين من عمرى ·· كنت قد استنفدت أحلى أيام حياتى ·· ومع ذلك فقد كان قوامى رشيقا ووجهى جميلا ·· رغم أنك لن تصدق ذلك الان ··

كان من الصعب فعلا أن يتصور المرء انها لم تتجاوز الثالثة والاربعين ·· رغم أن من يراها لم يكن ليعطيها أقل من خمسة وخمسين عاما ·· ولكن تمبلار قال ؟

ـ على العكس يا سيدتى ·· اننى أرى أنك كنت تتمتعين بجمال أخاذ وقد نضج جمالك الان ·· تماما كما تفعل الايام بالنبيذ الجيد ·· انها تزيده تعتيقا ··

واستطردت المرأة فى هدوء :

ـ كنت على أى الاحوال أملك شيئا يريده الرجال لفترة وجيزة ·· ولما لم أكن بحاجة اليه فقد استثمرته لصالح دنيس ··

وقال تمبلار : أننى مصغى اليك ·· أرجـوك أن تجلسى ·· أننى فى مثل هذه الساعة المتأخرة لا أملك سوى الوقت ··

كانت هذه مبالغة لطيفة ·· ولكنه فى هذه المناسبة لم يكن يحس أنه يضيع وقته ·

كانت القصة التى سمعها تبدو محبوكة بشكل جيد ·· ولكن المرأة روتها له بجدية تامة مما أضفى عليها مسحة من المأساة ··

لقد اختارت ايفون نورفال أقدم المهن بلا أية أوهام مدفوعة فقط بتقديرها الهادىء الى أنه ليست هناك مهنة اخرى تجيدها وتستطيع أن تعطيها دخلا كبيرا بمثل هذه

السرعة ·· ولكنها على خلاف زميلاتها فى المهنة كانت تقتصد كل فرنك تستطيع اقتصاده ·· فلم تكن تنفق على كمالياتها الشخصية أكثر من الحد الادنى من الزينة اللازمة لاغراء زبائنها ·· لقد حلت ارادتها القوية ووضوح هدفها محل الشراب والمخدرات التى تلجأ اليها زميلاتها لكى يستطعن التغلب على احتقارهن لانفسهن وبدهاء النمرة ووحشيتها كانت تبعد عنها أطماع القوادين الذين كان من المؤكد أن يستولوا على الجزء الاكبر من دخلها لو أنها استسلمت لهم ·· صحيح انها لم ترو قصتها بهذه الكلمات ولكن المعنى كان متضمنا فى طريقتها التى روت بها القصة ··

وفى مدى سبع سنوات كانت قد استهلكت آخر ما بقى لها من رأس مال فى مهنتها ولكنها كانت قد جمعت مبلغا من المال يكفى لضمان تعليم ابنتها وتربيتها للسنوات العشر التالية على مستوى أعلى بكثير من ذلك الذى كانت تأمل فيه لو أن زوجها بقى على قيد الحياة ··

لقد وضعت الطفلة فى مدرسة محترمة للراهبات بعد أن قدمت نفسها هناك على أنها أرملة لاحد الضباط رفضت أسرته أن تعترف بزواجهما أو بطفلتهما ·· ولما كانت أكرم من أن تلجأ الى احسان الاقارب فانها تضع كل ما تركه لها زوجها لكى تنفق منه على تنشئة ابنتهما بالمستوى الذى يليق بها ·· وعندما وصلت الفتاة الى السن الذى استطاعت ان تسأل فيه لماذا كانت امها تزورها نادرا ولا تصحبها معها الى المنزل مطلقا كان يقال لها أن أمها قد تزوجت مرة أخرى وان زوجها من النوع الغيور الذى يرفض مطلقا أن يرى ثمرة الماضى ·· ربما يلين بعض الايام ··فأمها تحاول اقناعه باستمرار ولكن الوقت لم يحن بعد ·· ووافقت الراهبات على أن

يلزمن الصمت أمام هذه الكذبة ٠

وقال تمبلار : لولا أن الراهبات تعاطفن مع تضحيتك لما أقدمن على هذا العمل ٠٠ ولكن بعد ذلك ، هل ظلت لديك مشاكل اخرى ؟

ـ لقد اعتقدت مثلك يا سيدى انها قد انتهت ٠٠ ولكن لو أن الامر كان كذلك لما جئت أتحدث اليك ٠٠ لقد بدأت المشاكل من هنا ٠٠ فقد كان هناك أحد القوادين لم أستطع الفكاك منه ٠

كان اسمه بيير ٠٠ وفى العالم السفلى الذى ينتمى اليه كان معروفا بأسم بييرو لو فرت ٠٠ حيوان دعى سافل من النوع الذى يطلق عليهم اسم الاوباش ٠٠ وكان له من أسماء الاب عددا كبيرا ٠٠ ولكنه عندما قبض عليه ذات مرة سمى نفسه بيير نورفال ـ وفى نفس الوقت كانت أيفون قد رفضت « حمايته » للمرة التاسعة عشرة ٠٠ ولهذا السبب اختار لنفسه هذا الاسم كنوع من أنواع الانتقام ٠٠ وحتى فيما بعد ظل يستعمل نفس الاسم ويتحدث عن « زوجته غير المخلصة » ٠٠

وكرد فعل سيكولوجى لم يطفىء الرفض حماسه بل زاده اشتعالا ٠٠ لم يكن بييرو يعتقد للحظة واحدة أنها لا تقاوم أو أنه ليس هناك من يحل محلها ، فقد كان يعرف عشرات غيرها ممن هن أجمل شكلا أو أرشق قواما ٠٠ ولكنه كان يشعر أنها اهانة كبرى لغروره أن ترفضه ايفون ٠٠ لقد أصبحت مسألة كرامة لديه أن يخضعها حتى يستطيع مع الوقت أن يذلها كما أذلته ٠٠ ونحو هذا الهدف كرس من العنف والذكاء أكثر بكثير مما كان يمكن أن يكرسه من أجل مشروع شرعى ناجح ٠

وعندما وجد المفتاح فى النهاية ٠٠ كان مفتاحا سحريا فاق كل ما تصوره ٠٠

ـ لقد عرف بطريقة لا أعلمها ما فعلته بدنيس ، وكيف دفعت لها مصروفات المدرسة حتى تكون آمنة بصرف النظر عما يحدث لى ·· ومن الطبيعى أننى لم أطلع احدا على النقود التى كنت ادخرها ·· ولم يكن أمامه من سبيل الان لان يلمسها ·· ولكنه تسلح بالسلاح الوحيد الذى أصبح عبدة له فسوف ينتظر الى أن تكبر دنيس ثم يخبرها بحقيقة أمرها وأمرى ··

ولبضع لحظات ظل تمبلار عاجزا عن العثور على الكلمات المناسبة ·· وفى ذلك السكون أدرك أن أى تعليق يلقى به لن يكون كافيا ·· فطوال حياته الحافلة التى عاشها مندمجا فى أوساط الشر والجريمة لم يسمع مطلقا بمثل هذا التهديد الوحشى القذر ··

واخيرا قال لها : كان يجب أن تقتليه ·

ـ انك على صواب ·· ولكن هذا العمل سهل فى تصوره صعب فى تنفيذه خصوصا بالنسبة لامرأة ·· وحتى لو اننى فعلت ذلك لانقلبت الراهبات ضدى ولذاعت الفضيحة بأسرها ·· وحتى لو أننى نجوت من المقصلة، فلن يكون لدى أدنى أمل فى أن أساعد دنيس أو أن أراها أحيانا وأخفف من كراهيتها لأننى تخليت عنها ارضاء لذلك الزوج الجديد الغيور الذى اخترعته لها ··

ـ وهكذا قبلت بيير لوفوت ·

ـ نعم قبلته ·· كان لدى وقت فراغ قصير يقبل فيه رجال من الطبقة الدنيا أو من السكيرين أن يضاجعونى ·· وبعد ذلك لم يكن يسمح لى بالانصراف ·· فلم يكن قد أشبع غيظه بعد ·· كان يحتفظ بى كطاهية وخادمة له ولاصدقائه وصديقاتهم أنظف المكان بعد أن يشبعوا نهمهم من كل شىء ··

وأكسب دخلا يكفى للانفاق على كل ذلك ·· وكنت أخرج للعمل كخادمة كما رأيتنى انت الليلة ··

وظن تمبلار ان هذه نهاية القصة فقال :

ـ اننى احس بالعطف الشديد نحوك يا سيدتى ولكن لا يمكن أن يكون هذا هو ما قصدتنيه من أجله ·· خبرينى ماذا تعتقدين أن بوسعى عمله ··

ـ لى ان ما افعله كان كافيا لما ازعجتك يا مسيو تمبلار ·· أننى معتادة على العمل الان ·· وعلى ضرباته عندما يكون سكرانا ·· كما لازلت استطيع ادخار بعض المال الذى لا يعلم عنه شيئا والذى احتفظ به لدنيس عندما نحتاجه ·· ولكن بييرو يهددنى الان بشىء أكثر فظاعة وهولا مما سبق ··

ـ وهل هناك ما هو افظع من ذلك ؟

ـ نعم ·· ان هذا القذر يقول ان ما افعله لم يعد كافيا ·· لقد راقب دنيس وهو يقول انها قد كبرت وانها جميلة ·· وانها تستطيع أن تدر عليه ربحا أكثر من ذلك الذى أكسبه فى المهنة الوحيدة التى يفهمها ·

ـ ولكن أى تهديد يستخدمه ضدك لتحقيق ذلك الغرض الدنىء ؟

ـ انه قد لا يحتاج الى أى تهديد ، فبوسعه أن يجد طريقة ما لوصمها بالعار فى المدرسة ، بأن يقول لها الحقيقة عنى أو أن يقولها لاصدقائها أو لاباء أصدقائها · وعندما تصبح منبوذة من اصدقائها أو بسبب عارها ·· يتولاها هو .. وبالقوة اذا لزم الامر .. انه ومن على شاكلته لا يعرفون الا عملا واحدا ·· ولكنهم يعرفونه جيدا ، ولاننى حاولت جهدى أن اربيها تربية راقية ·· فلن تكون لديها مثل الدفاعات التى كانت لدى ·· ان بييرو ليس غريبا ـ كما لابد أن تفهم ـ ولكن قلبه لا يعرف

الرحمة مطلقا .. وليست هناك فكرة تتسلط على عقله الا فكرة واحدة .. أن يذل دنيس ويحطمها فيحقق بذلك انتصاره الاعظم ..

ـ وليست هناك طبعا أى رشوة يمكن أن تقدميها اليه ٠٠ ان ما يتطلع اليه الان هو الذروة السادية لاثبات أن كل تضحيتك كانت عبثا ٠٠

ـ تلك هى المشكلة ٠٠ الان استطيع أن أثق ان تمبلار يفهم كل شىء ٠

ـ تلك فضيلة لا أدعيها لنفسى ٠٠ ولكننى سأظل احاول

وأشعل تمبلار لفافة تبغ وأطل من النافذة المسدلة الستائر والتى لم يكن فى الواقع يرى شيئا من خلالها وسرح بفكره فى الاصوات المبهمة التى تصدر عن المدينة دون أن يسمعها ٠٠ وأخيرا افاق من تأملاته وقال لها :

ـ زيدينى ايضاحا عن هذا الافاق بييرو لوفوت ٠

كانت التفصيلات التى يريد سماعها هى عن عادات هذا النوع من الناس .. ودون أثناء حديثها بضعة عناوين اعطتها له ايفون نور قال ٠٠ وعندما انتهى من القاء بعض الاسئلة عليها نهضت من مكانها بكبرياء واضحة وقالت :

ـ اننى اعتذر عن اضاعتى لهذا القدر من وقتك يا سيدى .. ولكن وقد سمعت قصتى كلها .. هل لى أن اتجرأ فأطمع فى مساعدتك ؟

ـ سوف احاول التفكير فى عمل ما ٠٠ ولكن ومهما يحدث ٠٠ فعندما تغادرين هذه الحجرة يجب أن تنسى مطلقا أنك تحدثت الى ، أو قلت لى شيئا ٠٠ قد يكون هذا اخر لقاء لنا ٠٠ ولكن على أى الحالات نحن لم نلتق مطلقا ٠

– مفهوم يا مسيو تمبلار ٠

كان من الطبيعى تماما أن يقدم لها يده وهو يفتح الباب ٠٠ ولكنه اصيب بالذهول والحرج عندما انحنت عليها وقبلتها ٠٠ وقبل أن يتمكن من الاحتجاج ٠٠ كانت قد انصرفت ٠

لم يكن تمبلار قد عالج منذ وقت طويل مثل هذه المشكلة ٠٠ وبصرف النظر عن آراء المثاليين من علماء النفس لم يكن تمبلار يؤمن بامكانية اصلاح أو تقويم مخلوقات من أمثال بييرو لوفوت : كان يؤمن فقط بعلاج سريع ناجح ٠٠ علاج يقضى على أى احتمال لحدوث نكسة ٠٠ ولم يكن تقاعس القديس عن تنفيذ هذا العلاج فى الفترة الاخيرة راجعا الى أنه فقد ثقته فى الموت كمطهر ، وانما كان راجعا الى انشغاله بأمور اخرى ٠٠ وكان ظهور شخصية خرافية كشخصية بييرو لوفوت حافزا قويا له على تذكر أيامه الخوالى وما حفلت به عن الوان المتعة ٠

وفى مساء اليوم التالى توجه تمبلار الى منطقة قرب حى مونمارتر كان يرتادها بييرو نورفال وأقرانه لكى يتجول بين عدد من المقاهى الوضيعة حيث يتقابل بعض المتطفلين على الجنس البشرى لكى يدبروا ويسكروا ويقامروا ويتاجروا فى كل نوع من أنواع البضاعة الحرام – من الخضروات أو المعادن أو البشر ٠ ودون أن يتنكر تنكرا كاملا تمكن من اخفاء شخصيته عن الاعين التى كان محتما أن تلحظه كسائح ضل طريقه وسط هذه الاحياء القذرة ٠

ووجد بييرو لوفوت بسرعة فى ثالث العناوين التى كان قد دونها عنده ، وهو مقهى حقير فى شارع كايشى واضطر تمبلار الى اخفاء امتعاضه وهو يرشف فنجان

القهوة الرديء الطعم بينما أخذ يمعن النظر فى الجالسين من خلف احدى الصحف التى تظاهر بقراءتها ·

لم يكن غرضه فى ذلك الوقت أكثر من اشباع فضوله بأن يرى الشخصية التى سمع عنها بعينيه لكى يتحقق من بعض الجوانب التى ربما شوهتها ايفون نورفال بدافع من حقدها ولكى يدون بعض الملاحظات الخاصة به تماما كما يفعل الجلاد المحترف عندما يقدر وزن الرجل الذى سيشنقه ·

كان بييرو لوفوت رجلا ضخما ، يشبه جسمه البرميل فى غير ترهل · وكانت له عينان صغيرتان كعينى الخنزير وفم تتسم عليه دلائل السادية وينطلق منه سيل من السباب فى صوت عال · أما وجهه فكان أحمر وأنفه حمراء بالمثل · وكان يشرب الكونياك من زجاجة كبيرة سرعان ما تفرغ ليعاد ملؤها من جديد ·· وبرغم انه لم يكن بادى التاثر بكميات الخمر التى شربها الا ان الليل كان فى أوله بالنسبة له ·

ومن كل ما رآه تمبلار وسمعه قرر أن الصورة التى رسمت له لم يكن مبالغا فيها ·· فدفع ثمن قهوته المرة وطوى صحيفته وانصرف ·· ولقد كان ممكنا ألا تروى تفاصيل هذه الرحلة فى القصة على الاطلاق لولا ذلك التعقيد غير المتوقع الذى أدت اليه .

لم يكن تمبلار قد قطع سوى مسافة قصيرة فى شارع كليشى حتى لمح سيارة اجرة ·· ووقف يناقش السائق حول المكان الذى يريد الاتجاه اليه طبقا للعرف الذى أرساه سائقو سيارات الاجرة المحدثون فى باريس (الذين يريدون التأكد أولا من أن المكان الذى يريد الراكب أن يصل اليه يتفق مع خط سيرهم ·· وهو الامر

الذى لا يحدث مطلقا ـ وعندئذ يطالبون بمبلغ اضافى زيادة على المسجل بالعداد تعويضا للسائق عن هذا التعب) عندما أحس بلمسة خفيفة على مرفقه ، وعندما استدار وجد أمامه مفتش البوليس أرشميد كويرسى ٠

وابتدره المفتش قائلا : هل تسمح لى بالركوب معك ؟ ان فندق جورج الخامس لا يبعد كثيرا عن طريقى ٠٠ ومن المناسب ان اوفر على نفسى عناء السير ٠

وفى السيارة اغلق تمبلار الحاجز الزجاجى الذى يفصلهم عن السائق ثم ابتدر صـــديقه مفتش البوليس قائلا :

ـ ترى أى المناظر العارية كنت تراجع ؟ لم أكن اعلم قبل اليوم ان من مهمة رجال المباحث أن يفتشوا على أزياء البغايا لكى يقبضوا على أى واحدة منهن تسمح لنفسها بتعرية جزء أكبر من المسموح به ٠

ورد مفتش البوليس بهدوء :

ـ وانا بدورى لم أكن اعلم قبل اليوم ان سيمون تمبلار مهتم بشخصية كشخصية بييرو لوفوت ٠

ولم تختلج عضلة واحدة فى وجه تمبلار رغم ما أحسه من انقباض مفاجىء ٠٠ ولكنه اسرع يتغلب على انفعاله الداخلى ويقول :

ـ ومن أين لك بهذه الفكرة الشاذة ؟

ـ بمجرد الملاحظة ٠٠ صدقنى أننى لم أكن أضعك تحت المراقبة ٠ بل حدث بمحض الصدفة أن رأيتك فى احدى المقاهى ٠٠ وكنت على وشك أن أعبر الشارع لكى أتحدث اليك عندما لاحظت انك تبدو مختلفا اختلافا بسيطا عما اعتدت أن أراك ٠٠ ولم يكن تنكرك بحيث لا يعرفك أحد وانما كنت تقصد فيما يبدو الى عدم لفت

الانظار اليك ٠٠ كان من الواضح اذن انك لا تريد لاحد أن يراك ٠

ـ الامر الذى جعلك بالطبع تريد أن ترانى ٠

ـ انها غريزة المهنة يا صديقى ٠٠ لقد غادرت المقهى الاول ثم ذهبت الى مقهى آخر لم يعتد المرء أن يرى فيه سيمون تمبلار المتأنق ٠٠ وحيث انك لم تكن تقتفى أثر أحد الى ذلك المقهى ، فقد أصبح واضحا أنك كنت تبحث عن شخص ما ٠٠ وقد تأكدت من هذا الاستنتاج عندما رأيتك بعد برهة وجيزة تتجه الى المقهى الثالث دون أن تكون منطلقا فى أثر أحد ٠٠ كما رأيتك تطالع صحيفة كنت قد رأيتك تقرأها مرتين قبل ذلك ٠

ـ يبدو أننى كنت مشغولا للغاية والا لتنبهت الى أنك تراقبنى ٠

ـ وأضح انه لم يخطر ببالك أن هناك من يراقبك ٠٠ حسنا ، لقد اكتشفت فى النهاية بييرو لوفوت بينما لم يعرفك هو رغم انك لم تكن متنكرا ٠٠ وهكذا يمكن للمرء أن يستنتج بسهولة أنه لم يكن يعرف أنك مهتم به ٠٠ وأثناء مراقبتى لك تأكدت أنك تعرفت عليه من صورة أو وصف أعطى لك حيث كان واضحا أنك لم تقابله من قبل .. ولقد رأيتك تدرسه عن كثب من خلف صحيفتك لمدة طويلة حتى بدا انك قد أشبعت فضولك .. فانصرفت .

ـ وما الذى جعلك تعتقد أننى كنت أبحث عن هذا البييرو من بين كل من تطلعت اليهم أثناء مراقبتك لى ؟

ـ انك لم تنظر الى أى منهم بنفس الطريقة ٠٠ وبعد أن انتهيت من دراستك له انصرفت ولم تحاول الدخول الى بار آخر ٠ ثم ناديت هذا التاكسى وطلبت منه أن يوصلك

الى الفندق · وعندما سمعت ذلك ، أدركت أنك لابد قد أنجزت مهمتك ، على الاقل فى الوقت الراهن ومن ثم أقحمت نفسى عليك ·

والقى تمبلار برأسه الى الخلف وأخذ يضحك بصوت غير مسموع ·· ثم قال :

ـ دعنى أصارحك القول ·· لقد سئمت نفسى تلك الاماكن الانيقة التى اعتاد الناس رؤيتى فيها فأحسست برغبة طاغية فى أن أتصعلك الليلة ·· لقد أردت أن أرتاد بعض الاماكن القذرة وأتطلع الى تلك الشخصيات التى اعتدت أن ألتقى بها فى الايام الغابرة ·· ومن الواضح انه كان لابد لى أن أحاول الاختفاء عن الاعين أو على الاقل الا أبدو كسائح أمريكى ·· ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ·· ولكننى جلست فى ماخورين فلم أجد فيهما ما يستحق الاهتمام حتى دخلت المقهى الثالث فرأيت هذا البييرو ، وقد بدا من مخلفات عصر مضى ·· فراقبته لفترة ولم أجد فيه ما يثير اهتمامى ·· وعندئذ قررت الا أستمر فى محاولة تذكر الماضى وأن أعود من حيث جئت ·

وهز كويرسى رأسه ثم قال :

ـ اننى أفهمك تماما ·· ومن ثم يجب أن أحذرك انه على الرغم من أن بييرو لوفوت هو بدون شك خنزير قذر ، الا أن مسئولية القصاص منه يجب أن تترك للمحاكم الفرنسية ·

ـ ومتى تعتقد سيحدث ذلك ؟

ـ ليس من شأنى أن أتنبأ بذلك يا مسيو تمبلار ·· ولكن اذا حدث شىء عنيف لبيير نورفال دون أن يعزى ذلك الشىء الى أقرانه من رفاق السوء فاننى أعتقد انه سيكون

لزاما على أن أتحرى الامر وفي يقيني انه عمل من أعمال القديس ·

ـ هل تعنى أنك لا تصدقنى ؟

ـ لقد اشتركنا معا فى أكثر من قضية ولك فى نفسى احترام واعجاب لا حد لهما يا صديقى العزيز ·· ولكننى لا انسى السجل الذى كان اول شيء يجب على قراءته عنك ·· ولست أعتقد أنك قد تخلصت تماما من كل عاداتك السيئة ·· وخصوصا عندما تحاول السخرية من رجل بوليس جاد .

وعند هذا كانا قد وصلا الى الفندق فترجل تمبلار وقال بجرأته المعهودة :

ـ لماذا تنصرف هكذا مبكرا ؟ ما رأيك فى أن تصعد معى لتناول كأس من الشراب ·

ولكن كويرسى هز رأسه وبقى فى السيارة ·

ـ شكرا يا عزيزى ·· اننى مرتاح الان ولذلك سوف أواصل المضى فى طريقى ·· ولكن أرجو ألا تنسى ما قلته لك ·· لاننى لن أنسى ·

وعندما صعد تمبلار الى جناحه أخذ يذرع الممر لمدة نصف ساعة قبل أن يستطيع الاسترخاء لكى يستلقى على فراشه ·

لقد حولت هذه المصادفة السيئة طريقة تفكير تمبلار ·· فرغم أنه لم يكن مستعدا لان يسمح لبيرو بمواصلة تلويث العالم الا أنه لم يكن ينوى فى نفس الوقت أن يغامر بفقد رأسه فى هذا المشروع ·· وهكذا فقد أصبح لزاما أن يتم استئصال بيير نورفال من هذا العالم بطريقة لا تعرضه لاية أخطار ·

وبينما هو غارق فى تأملاته وفى البحث عن طريقة

للتخلص من المأزق الذى أوقعته فيه هذه المصادفة السيئة اذ به يتذكر فجأة حفلة الكوكتيل وشخصية الدكتور جافرز المتعجرفة ٠

كانت هناك طائرة متجهة الى لندن فى الساعة الحادية عشر صباحا استطاع أن يلحق بها تمبلار فوصل لندن فى أقل من ساعة ٠

ومن أول تليفون صادفه فى المطار اتصل بالدكتور جافرز وكان من حسن حظه أن وجده فى مكتبه ٠

قال تمبلار متصنعا التواضع :

ـ هل تذكر انك قلت لى أن لغزك سوف يؤرقنى ؟ اننى لم أصدقك فى ذلك الوقت ٠٠ ولكن لقد حدث ما توقعته ٠٠ بيد أننى لم أكن أملك المعرفة التكنيكية التى تمكننى من حله ٠٠ على أى حال ، أنا لم أعد الى لندن منذ ذلك اليوم ٠٠ وعندما حضرت الان فقد وضعت على رأس القائمة أن أتصل بك لتريحنى من هذا العذاب ٠

واستطاع تمبلار أن يسمع من الطرف الاخر همهمات الرجل التى دلت على اعتداده الشديد بنفسه قبل أن يرد قائلا :

ـ اننى أذكر الحديث الذى دار بيننا تماما ، وأعتقد أنك عانيت بما فيه الكفاية ٠٠ فهل تستطيع أن تتناول معى طعام العشاء فى النادى الليلة ؟ من حسن الحظ أننى أحتفظ دائما بهذه الامسية لقراءاتى العلمية ٠٠ ولكن من أجل مناسبة كهذه تستطيع القراءة أن تنتظر !

كان الدكتور جافرز رقيقا عندما تقابلا وظل يرفض فى خبث أن يكون هو البادىء بذكر سبب اللقاء ٠٠ ولكن تمبلار عالجه بالصبر والدهاء الى أن اضطره فى النهاية الى أن يبدأ هو الحديث فى الموضوع ٠٠

قال الدكتور جافرز :

ـ وهكذا لم تستطع احتمال الموضوع أكثر من ذلك ‥ هل تعترف اذن أن هذا كان أحد الالغاز التى أعياك حلها ؟

ـ تستطيع أن تحصل منى على اعتراف كتابى بذلك اذا أردت ‥ ولكن لا تدعنى أعتصر ذهنى الضعيف أكثر من ذلك ٠

وتلكأ الدكتور جافرز وهو يرشف ملعقة من الحساء ويتذوقها فى تمعن كأنما يتذوق فيها لحظة انتصاره ثم قال :

ـ لقد سمم الرجل بواسطة غاز تتـراكلوريد الكربون ‥ وبمعنى آخر ، سمم بواسطة أكثر سوائل التنظيف انتشارا ٠

وحملق اليه تمبلار مذهولا ثم قال :

ـ لقد كنت أعتقد أن هذا السائل غير ضار اللهم الا اذا كان الرجل قد شربه ‥ ولكننى متأكد أنك لم تشر مطلقا الى أن الرجل قد فعل شيئا من هذا القبيل ٠

ـ اننى لم أشر الى شىء من ذلك ‥ وهو أيضا لم يفعل ذلك ‥ لقد كان المفتاح الذى أعطيتك اياه هو أحمر الشفاه الذى وجد على معطفه ‥ ورغم أن هذه البقعة كانت بريئة الا أن الرجل ظن انه من الافضل أن يزيلها بدلا من أن يكون مضطرا لشرح الامر لزوجته ٠ وهكذا أخرج زجاجة من هذا المنظف وبدأ يستخدمها فى تنظيف البقعة ‥ ولما كان فى الحالة التى شرحتها لك فقد انقلبت منه الزجاجة وسأل المنظف كله على الارض ٠

وعندئذ تخلى عن المحاولة وآوى الى فراشه ٠

ـ ولكن اذا كان قليل من بخار هذا السائل يكفى لقتل انسان ، فلماذا لا نسمع عن قتلى بهذا السبب كل يوم ؟

ـ ليس غريبا ألا يحدث هذا الامز كثيرا ٠ فالجميع يعتقدون أن تتراكاوريد الكربون غير ضار لانه لا يشتعل أو ينفجر ٠٠ أما بخاره فهو سام تماما ٠٠ ويكفى أن يتعرض الانسان لبخاره لمدة خمسة دقائق فقط لكى يحدث به تلف قد يؤدى به الى الوفاة بعد أسبوع من المرض ٠ بمعنى أنه يكفى أن يتبخر لتر من السائل فى مساحة ضيقة كتلك الحجرة التى نام فيها الرجل المسكين ٠

ـ هل تعنى انه كان يستخدم لترا كاملا من السائل لتنظيف هذه البقعة الصغيرة ؟

ـ كلا بالتأكيد ٠٠ ولكنه لم يتعرض للبخار لمدة خمس دقائق فقط ٠ وهذا هو السبب فى أن من يستخدم المنظف لا يصاب بضرر فهم لايتعرضون لبخاره طويلا ٠ أما الضحية فقد نام فى هذه الحجرة الصغيرة لمدة تزيد على أربع ساعات ٠٠ وفى هذه المدة الطويلة تكفى بضع أوقيات لاحداث نتائج قاتلة ٠٠ وبالاضافة الى هذا ، فقد كان هناك عامل آخر حرصت على تأكيده ٠

ـ وماذا كان هذا العامل ؟

ـ لقد أشرت الى أن الرجل كان يفرط فى الشراب ٠٠ ولسبب ما لم يفهم بعد تماما فان الكحول يقلل من قدرة الكلى والكبد على ازالة الاثر السام لغاز تتراكلوريد الكربون ٠٠ وهكذا ترى أن كل هذه العوامل مجتمعة هى التي ادت فى النهاية الى مقتل الرجل ٠

فى هذه الاثناء كان تمبلار قد انتهى من شرب الحساء مستمتعا بكل قطرة منه بينما كان يفكر فى الجوانب المختلفة للموضوع واخيرا قال :

ـ ربما كان من الخير ان كثيرا من الناس لا يعرفون هذه الحقائق والا لرأينا كثيرا من جرائم القتل الغامضة ٠

وقال الدكتور جافرز : لا تعتقد ان تتراكلوريد الكربون لا يمكن معرفته ٠٠ ان أى اخصائى تحليل متمكن يستطيع التعرف عليه فورا من الطريقة التى يذيب بها الدهن فى أعضاء الجسم ٠٠ تماما كما يذيب بقع الشحم من الملابس ٠٠ وهكذا فان على القاتل الذى يستخدمه ان يكون متأكدا من ان الامر سيفسر على أنه حادث عرضى ٠

وهز تمبلار رأسه موافقا ٠٠ فقد أيقن انه لم يعد هناك ثمة عائق امام تنفيذ خطته ٠

كان تمبلار يعلم ان بييرو ينام فى حجرة صغيرة ٠٠

وهو بالضرورة لا يأوى الى فراشه الا مخمورا كل ليلة كما أنه كان من السهل ان يتصور ان بييرو ينام والنوافذ محكمة الاغلاق شأنه فى ذلك شأن الفرنسيين من افراد هذه الطبقة الذين يخشون من الهجوم عليهم ليلا ٠ كذلك كان تمبلار يعرف ساعات عمل ايفون نورفال فى فندق جورج الخامس الامر الذى سيؤكد بعدها عن مكان الجريمة ساعة وقوعها لو حدث وشك احد ان فى الامر جريمة ٠

وبينما كانت هذه الافكار تدور فى ذهن تمبلار ، كان الدكتور ويلموث جافرز يختلس نظرات فاحصة الى القديس بحيث تصور انه يستطيع قراءة افكاره ٠٠ وعندئذ قال :

ـ لا شك انك كنت تستطيع استخدام هذه الطريقة فى احدى جرائم القتل « من اجل العدالة » التى قيل انك كنت ترتكبها فى شبابك ٠٠ ومن سوء الحظ انك لم تستطع التفكير فى هذه الوسيلة آنذاك ٠

اما الان فقد سبق السيف العزل ٠٠ ذلك اننى اذا قرأت فى الصحف ما يشتم منه انك قد استخدمت هذه

الطريقة فى انزال القصاص بأحد سوف أجد نفسى مضطرا للذهاب الى البوليس واطلاعهم على ما دار بينى وبينك ·· فانا لا أوافق على ان يقوم الافراد بتطبيق القانون بانفسهم ·

وابتسم سيمون تمبلار واخذ يفكر بينه وبين نفسه ·· ان الامر لن يكلفه سوى رحلة واحدة الى باريس تحت اسم مستعار متجنبا كل الأماكن التى من شأنها أن تضع فى طريقه أناسا مثل أرشميد كويرسى أو أيا من رفاقه ·· كذلك كان واثقا ان وفاة مجرم تافه مثل بييرو لوفوت لن تجد مكانا لها فى الصحف الانجليزية ·

عند هذا ابتسم سيمون تمبلار قائلا :

ـ يا لله يا عزيزى ·· ان الجميع يعرفون الان اننى قد هجرت هذه الاعمال منذ سنوات عديدة ·

القسم الرابع

الوحـــش

قال المفتش روبرت ماكنزى · إننا أعلم بالطبع أنك هنا فى اسكتلندا كزائر عادى ولا تريد أن تقحم نفسك فى أى عمل ·

ورد تمبلار قائلا : هذا صحيح ·

كان القديس معتادا على هذا النوع من الحديث حتى أن الملل كان يقلقه فى بعض الاحيان ·· وكان المفتش ماكنزى رجلا وديعا ضخم الجسم ذا يدين كبيرتين حمراوتين وعينان ضيقتان رماديتان وشعر كستنائى مصفف بعناية ·· واستطرد ماكنزى قائلا :

ـــ واعتقد كذلك أنك لا ترغب فى مشاركتنا فى حل أحد الالغاز المحلية ٠
ـ ما هى مشكلتك بالضبط ؟ هل سرق احدهم الديك الرومى الذى كنت تسمنه استعدادا لوليمة البوليس السنوية ؟
وتجاهل المفتش هذه السخرية وقال بجدية شديدة :
ـ ان الامر متعلق بوحش بحيرة نوس ٠٠ لا ريب انك سمعت عنه ٠
ـــ نعم ٠٠ لقد كنت أخشى دائما أن أورط فى هـــذا الموضوع ٠٠ ولكنك اول رجل بوليس يحاول جذب رجلى اليه ٠
ـ ألم يخبروك أن المفروض أن اقوم أنا بجذب أرجل الاخرين ؟
ـ اننى لا أمزح ٠
قالها المفتش ماكنزى بصرامة ، وحملق سيمون تمبلار فى وجهه ٠
كان ذلك فى ربيع سنة ١٩٣٣ ، عندما بدأ عدد من الثقات يشهدون بأنهم رأوا عند بحيرة نوس مخلوقا وحشيا كان وجوده اسطورة شائعة فى هذه المنطقة منذ زمن بعيد ، ولكن عددا من الاشخاص زعموا انهم رأوه بأنفسهم ٠ وكانت الاوصاف التى اعطوها لهذا الوحش تختلف من حيث التفاصيل ، ولكنهم كانوا جميعا متفقين بصفة عامة على ان الوحش يبلغ طوله ثلاثين قدما وانه يستطيع ان يسبح بسرعة ثلاثين قدما فى الساعة ٠٠ وكان لونه رماديا داكنا له رأس تشبه رأس الحصان ورقبة طويلة تتحرك من ناحية الى أخرى بحركات سريعة كرقبة الدجاجة ٠ وكان هناك خلاف حول ما اذا كانت هنك حراشيف فوق ظهره ٠٠ وما اذا كان

يدفع الماء بزعانف أو بذيل قوى .. ولكن الجميع شهدوا بأنه لا ينتمى الى أى نوع من الحيوانات المعروفة فى التاريخ الطبيعى الحديث .

وتوجت هذه التقارير فى ديسمبر بصورة فوتوغرافية توضح احد الزواحف الغريبة وهو يطرطش فى الماء وقد التقطها احد موظفى شركة الالومنيوم البريطانية التى كان لها مصنع بالقرب من تلك المنطقة . وقد شهد عدد من الخبراء ان سلبية الفيلم لم تدخل عليه اى رتوش وان الصورة غير مزورة .

وسأل تمبلار المفتش ماكنزى بجدية تماثل حديثه :

ـ وماذا فعل الوحش مما يعتبر غير قانونى ؟

ـ منذ بضعة أسابيع نسب اليه أنه التهم خروفا .. وأمس مساء يقال انه قتل كلبا .

ـ وأين حدث هذا ؟

ـ كان الخروف ملكا لفيرجوس كلانريث الذى يملك مزرعة قرب البحيرة .. أما الكلب فملك لجيرانه ، وهم رجل وزوجته يدعى باستيون من انجلترا نزلوا هنا فى الصيف الماضى .. ان المكان لا يبعد عن هنا بأكثر من عشرين ميلا .. فهل لا تستطيع الاستغناء عن بعض الوقت لزيارة المكان ؟

ـ حسنا .. هيا بنا .

ودفع تمبلار حساب الفندق .. وركب سيارته لانه كان ينوى أن يواصل رحلته فى نفس اليوم .. وسار فى أعقاب سيارة ماكنزى حتى خرجا من انفيرنس وسارا فى الطريق المحاذى للضفة الشرقية من نهر نيس .. وان هى الا بضع دقائق حتى كان تجهم المدينة يخلى مكانه لخضرة الريف وأشعته الذهبية المحببة .

وبعد بضع دقائق اخرى ، انعطف ماكنزى بسيارته الى طريق جانبى ضيق كان يدور متعرجا حول تل صغير ، وفجأة بدت البحيرة امامهم وعلى أحد جانبيها وقف منزلان وحيدان تفصل بينهما مسافة وان كان كل منهما قريب من البحيرة ‥ كان المنزلان يمثلان تناقضا كبيرا بينهما وبين الطبيعة المحيطة بهما ‥ وشأن كل مدن اسكتلندا وقراها كانت المنازل تبدو فيها متنافرة مع جمالها الطبيعى ٠

والى جانب المنزل الاول كان هناك رجل يرتدى قميصا ملطخا وبنطلونا احيطت ارجله بقطع من الخيش بينما كان يفلح حديقة خضروات ٠ وعندما اوقف ماكنزى سيارته تطلع الرجل اليه وسار ببطء ناحية السور ‥ كان الرجل قصيرا ولكنه قوى البنية ‥ وكان شعره أحمر مشعثا كانه غروب الشمس فى يوم عاصف ٠

ونزل ماكنزى من السيارة وأومأ الى تمبلار ‥ وعندما بلغه كان الرجل ذو الشعر الاحمر يقول :

ـ نعم ‥ لقد كنت هناك ورأيت بنفسى ما تركه الوحش من الكلب ‥ وهو على اى الاحوال اكثر مما تركه من خروفى ٠

وسأله المفتش : ولكن هل يمكن أن يكون مرتكب الحادثتين شىء واحد ؟

ـ لست انا الذى يجيب على هذا السؤال يا ماكنزى ‥ فأنا لست من رجال البوليس ‥ ولكن تذكر اننى لم أكن انا الذى قلت بأن الوحش أخذ خروفى ‥ لقد كان آل باستيون هم الذين فكروا فى ذلك ‥ وربما فعلوا ذلك حتى لا أتهمهم بسرقته بصفتهم آخر من رآه ٠

وقام ماكنزى بتعريف الرجلين ببعضهما قائلا : هذا

مستر كلانريث الذى كنت أحدثك عنه ·· كما يسرنى يا فيرجوس ان اقدم اليك مستر سيمون تمبلار الذى قد يساعدنا فى تحرى هذا الامر

وشد كلانريث بقوة على يد تمبلار عبر السور وهو يتفحصه بنظره من تحت حاجبيه الكثيفين ثم قال :

ــ انك لا تبدو كأحد رجال البوليس يامستر تمبلار

ــ اننى أحاول ألا أبدو كذلك ·· هل تعنى بما كنت تقوله الان أنك لا تصدق حكاية هذا الوحش على الاطلاق ؟

ــ اننى لم أقل هذا ·

ــ اذن فأنت تعتقد بامكان وجود مثل هذا الشيء فعلا ·

ــ ممكن ·

ــ انك بحكم موقعك تملك فرصة كبيرة لرؤية هذا الوحش ·· اذا كان موجودا ·

ونظر الفلاح الى تمبلار متشككا قبل أن يجب :

ــ هل أنت صحفى يامستر تمبلار ؟

ــ لا ···

ــ لا ···

ــ عندما يقول أحدهم بأنه رأى وحشا ·· فان أصدقائه سوف يعتقدون أنه ربما أفرط فى الشراب قليلا ·· ولو كنت رأيت شيئا فى حياتى لما تحدثت عنه الى كل غريب ·· حتى لا يسخر الناس منى ·

وتدخل ماكنزى فى النقاش قائلا :

ــ ولكنك لا شك تقر أنه ليس من الطبيعى أن يقتل كلب بمثل الطريقة التى قتل بها هذا الكلب ·

ــ هذا صحيح ·· فمن الغريب أن أحدا لم يسمح

نباح الكلب أو حتى همهمته ·

ـ هل تعنى أنه لم تكن أمام الكلب فرصة حتى للصياح ؟

ـ اننى لم أقل هذا ·· ولكنه كان كلب حراسة فيما أعلم ·

وفى هذه الاثناء كانت فتاة قد خطت خارجة من المنزل واقتربت بينما هم منهمكون فى الحديث ·· كان للفتاة شعر فيرجوس كلانريث النارى وعيناه الرماديتان ·· ولكن بشرتها كانت بيضاء مشربة بالحمرة بينما كانت بشرته داكنة ·· وكانت شفتاها مكتنزتن بينما كانت شفتاه رقيقتان ·· وكانت الفتاة أطول منه ·

وتدخلت الفتاة فى الحديث قائلة :

ـ هذا صحيح ·· لقد كان الكلب ينبح كلما سمع وقع أقدامى ·· رغم أنه كان يرانى كل يوم ·

كان صوتها خفيضا عذبا سليم النبرات ·

ـ اذن فلو أن شخصا هو الذى قتله فليس معنى هذا الا أن الكلب كان معتادا على هذا الشخص تماما ·

ـ ولكنى لا أتصور أن يكون آدميا هو الذى فعل بالكلب كل هذا ·

كانت عينا الفتاة لاتتحولان عن وجه تمبلار وقد شاع فيهما اهتمام واضح واستطردت وهى تبتسم :

ـ ان أبى لا يفتأ ينظر الى الانجليز على أنهم أعداء للاسكتلنديين ·· وهو مع ذلك سعيد بأننى أقوم بعمل السكرتارية لبعض الوقت للمستر باستيون لان ذلك يجعلنى أبقى الى جانبه ·· ولكنه فى قرارة نفسه يعتبرنى خائنة اذ أبقى على علاقات ودية مع الاعداء ·

وقال ماكنزى : يحسن بنا أن نذهب اليهم ونتكلم معهم ٠٠وعندئذ نرى اذا كان لدى مستر تمبلار آية أسئلة أخرى ٠

كان هناك فى نظرة آنى كلانريث شيئا يقول أنها تود لو أنه كانت لديه أسئلة أخرى ٠٠ وكان تمبلار بدوره يتمنى أن يجد فرصة للعودة الى الحديث معها ٠ فهو لم يكن يتوقع أن يجد فى هذا المكان المنعزل شخصية كهذه ٠٠ واستطاع تمبلار أن يراها فى مرآة سيارته وقد تسمرت فى مكانها لا تحول نظرها عنه بعد أن عاد أبوها الى استئناف عمله ٠

وعلى بعد ثلاثمائة ياردة أوقف ماكنزى سيارته أمام المنزل الثانى ٠٠ وتوقف تمبلار وراءه ثم تبعه الى الباب الامامى ، الذى فتح على الفور وظهر منه رجل نحيل طويل يرتدى بلوفر من الصوف وبنطلونا ٠

قال مفتش البوليس باحترام : مســاء الخيــر باسيدى ٠٠ اننى المفتش ماكنزى من انفيرنس ٠٠ فهل أنت مستر باستيون ؟

ـ نعم ٠٠٠

كان لمستر باستيون وجه نحيل وأنف مدبب طويل وشعر أسود مجعد تتخلله شعيرات بيضاء وشارب كث عريض مما أكسبه مظهرا عسكريا ٠ واتجهت عيناه السوداوان الى تمبلار فى تساءل ٠

قال ماكنزى : هذا هو المســتر تمبــلار الذى يساعدنى ٠٠ لقد أخبرنى الكونستابل الذى كان هنا فى الصباح بكل ما أطلعتموه عليه ٠٠ ولكن هل نستطيع أن نلقى نظرة بأنفسنا ؟

ـ طبعا بكل تأكيد ٠ تفضلا من هنا ٠

وانتصب ماكنزى واقفا وهو يصوب نظرة متشككة نحو القديس ثم اتجه ألى باستيون وسأله :

ـ متى وجدت كل هذا ياسيدى ؟

ـ فى حوالى الساعة السادسة ·· فقد استيقظت قبل الفجر

ولم استطع النوم بعد ذلك ·· لهذا قررت أن أجرب صيد السمك مبكرا ·· وما أن بزغت الشمس حتى نهضت من فراشى ·

ـ ألم تسمع ضوضاء قبل ذلك ؟

ـ لا ·

ـ الا يمكن ان يكون نباح الكلب هو الذى أيقظك ؟

ـ لا أظن ذلك ·· كما أن نوم زوجتى خفيف للغاية وهى لم تسمع شيئا ·· ولكننى دهشت عندما لم أر الكلب بالخارج فهو وأن كان لا ينام بالمنزل الا أنه ينتظر دائما عند الباب فى الصباح ·· وعندما نزلت الى هنا وجدته على هذا النحو ·

وسأل تمبلار : ألم تر شيئا آخر ؟ اعنى شيئا فى البحيرة ·

ـ لا ·· لم أر الوحش · وعندما بحثت عنه لم تكن هناك هزة واحدة فى ماء البحيرة ·· وبالطبع قد يكون الكلب قتل قبل ذلك ببعض الوقت ولو أن جسده كان لا يزال دافئا ·

وقال ماكنزى : هل تعتقد يامستر باستيون أن الوحش هو الذى قتله ؟

ونظر باستيون اليه والى تمبلار ثم أجاب :

ـ أننى لست رجلا متطيرا لكوننى اسأل اذا لم يكن وحشا من نوع ماهو الذى قتل الكلب ·· فأى شىء آخر

فعل ذلك ؟

وأقفل مفتش البوليس مفكرته ·· وكان واضحا أنه يشعر بأن الموقف لم يعد من اختصاصه ·· ونظر الى تمبلار كأنما يستغيث به أن يفعل شيئا ·

وقال تمبلار بعد تفكير : قد يكون من المفيد أن نستدعى طبيبا بيطريا لتشريح الجثة ·

وسأله باستيون : لماذا ؟

وقال تمبلار : دعنا نواجه الامر بصراحة · ان هذه المخالب قد تكون مفتعلة ·· ويمكن أن يكون الكلب قد قتل بهراوة ـ أو حتى بهراوة تثبت فيها مسامير لكى تحدث جروحا تبدو كما لو كانت بفعل أسنان ·· ولكن على كل الحالات لم يكن بوسع أحد أن يقترب من الكلب الى هذا الحد دون أن ينبح ·· اللهم الا أذا كان الكلب قد خدر أولا ·· ولذلك فقبل أن ننتقل الى نظرية الوحش هذه يجب أن نتأكد أولا من استبعاد كل الاحتمالات الاخرى ·· من أجل هذا أطلب تشريح الجثة ·

وحك باستيون شاربه الكث ثم قال :

ـ اننى أفهم وجهة نظرك ·· نعم يبدو أن هذه فكرة صائبة ·

وساعدهم فى نقل الكلب الى الجوال الذى كان يغطيه من قبل ·· وحمله تمبلار وماكنزى فيما بينهم حيث وضعوه فى حقيبة سيارة مفتش البوليس ·

وسأله ما كنزى وهو يمسح يديه بخرقة نظيفة ثم يناولها الى تمبلار :

ـ هل نستطيع أن نتحدث الى مسز باستيون ، يا سيدى ؟

ـ طبعا بكل تأكيد ·· ولو أنها فى حالة من الحزن الشديد ·· لقد كان الكلب كلبها فى الواقع ·· ومع

ذلك . تفضلا وسوف أرى ان كانت ستستطيع التحدث اليكما .

وحسمت مسز باستيون الجدل بنفسها بأن قابلتهم فى الصالة .. وكان واضحا .. أنها كانت تراقبهم من النافذة .. وما أن رأت زوجها حتى صاحت به : ما الذى يفعلونه بجولى يا نويل ؟ ولماذا يأخذونه معهم ؟

ـ أنهم يريدون أن يعرضوه على أحد الاطباء لفحصه يا عزيزتى .

ولم تدعه مسز باستيون يكمل شرحه فقاطعته قائلة :

ـ اذن لا تدعهم يعيدوه ثانية .. يكفينى أننى رأيته على هذه الحال .

ثم التفت الى تمبلار وماكنزى واستطردت :

ـ لا شك أنكما تقدران موقفى .. لقد كان جولى كواحد من أبنائى .. وكان اسمه الحقيقى جوليات ـ ولقد سميته بهذا الاسم لانه كان كبيرا وشرسا .. ولكنه كان فى الواقع وديعا هادئا اذا استطعت أن تعرف كيف تعامله .

كانت مسز باستيون امرأة ضخمة الجسم قوية الملامح لم تحاول أن تفعل شيئا يقلل من سنها الذى ربما جاوز الخمسة وأربعين عاما .. وكان شعرها الاشقر مفرودا وقد عقصته خلف رأسها .. أما عيناها الزرقاوان فكانت تحيط بهما هالة من التجاعيد .. ولم يكن فيها من زينة النساء سوى أحمر الشفاه الباهت الذى كان يصبغ شفتيها .. ومع ذلك فقد أسرع باستيون يحيط خصرها كما لو كانت عروسا صغيرة وهو يقول :

ـ اننى أثق أن هذين الضابطين سوف يقومان بدفنه نيابة عنا يا اليانور .. ولكنهما يريدان أن ينتهزا فرصة وجودهما ليوجها اليك بعض الاسئلة .

وقال ما كنزى : لمجرد التأكد ممـــا رواه لنا مستر باســـــتيون يا ســـيدتى .. من أنك لم تسمعى أية ضوضاء مساء أمس .

ــ قطعا لم أسمع شيئا .. ولو أن جولى قد اصدر صوتا لسمعته حتما .. اننى دائما أسمع صوته .. لمــاذا تجهدون انفسكم كل هـــــذا الاجتهاد لتجنب الحقائق أن الامر واضح وضـــوح الشمس من أن الوحش هو الذى فعل ذلك ..

وقال تمبلار : بعض الوحوش لها قدمان ياسيدتى .

ــ اننى ارى انك مصمم على عدم تصديق أى شىء .. حتى برغم كل هذه الأدلة التى تلمسها .

وتدخل ماكنزى فى الحديث قائلا : اننى أذكر حادثة وجدنا فيها بعض آثار أقدام .. ثم اتضح بعد ذلك أنها مفتعـــلة .

ــ اننى أعرف تماما ما تشير اليه .. ان كثيرا من الحمقى لا يصدقون الصورة الفوتوغرافية التى التقطت قبل الحادث ، كما أنهم يرفضون أن يصدقوا حتى الصورة التى التقطها جراح من لندن بعد الصـــورة الأولى بأربعة شهور .. اننى أعرف ما أتحـــدث عنه .. لقد درست الموضوع جيدا .. بل حقيقـــة الأمر أننا لم نستأجر هذا المنزل الا على أمل على أن اكتشف الوحش .

ورفع كل من الرجلين حاجبيه دهشة فى وقت واحد ولكن تمبلار أسرع يتكلم باسمه واسم ماكنزى قائلا :

ــ وكيف ستفعلين ذلك يامسز باستيون ؟ اذا كان الوحش معروفا هنا لبضعة قرون مضت .. على الاقل بالنسبة لكل أولئك الذين يعتقدون فى وجوده .

ـ ولكن وجوده لم يثبت بعد رسميا وعلميا وبودى أن أنال شرف هذا الاثبات القاطع بما لا يقبل مجالا للشك .

وأسرع باستيون يزيد الامر وضوحا وقد تملكه الزهو .

ـ ربما لا تعرفون أيها السادة أن مسز باستيون واحدة من علماء التاريخ الطبيعى المبرزين .. وقد حصلت على جائزتين عالميتين فى هذا المجال .

ـ ولكنى لم أحصل على شرف يضاهى هذا الشرف .. انكما تعتقدان أننى أهرف .. وانه ليس هناك حيوان بهذا الحجم لم يكتشف حتى الآن . قل لهم حقائق الحياة يا نويل .

وتنحنح باستيون كما لو كان تلميذا يستعد لالقاء قطعة من المحفوظات :

ـ ان الغوريلا لم تكتشف الا فى سنة ١٨٤٧ ، وعملاق باندا فى سنة ١٨٦٩ ولم يكتشف الاوكابى حتى سنة ١٩٠١ .. ولا شك أن المستكشفين كانوا يعودون بشائعات عنها ولكن الناس كانوا يعتقدون أنها قصص خرافية .

واختتمت اليانور باستيون الحديث نيابة عنه قائلة :

ـ وهكذا لماذا لا يكون هناك شيء استطيع أن أكون أنا أول من يكتشفه ؟ ان الشيء الواضح الذى كان يجب أن أتجه اليه هو رجل الجليد ، ولكن مستر باستيون لا يستطيع تحمل الارتفاعات العالية .. ولهذا اكتفيت بالبحث عن وحش بحيرة نوس .

وضاق ماكنزى ذرعا بهذا الحديث الذى لم يكن يرى له علاقة بمهمته .. ويظل يحاول جاهدا أن

يخفى ضيقه ولما لم يستطيع تدخل فى الحـــديث قائلا :

ــ كل ما يعنينى يا سيدتى هو التأكد ممـــا اذا كان هناك مجرم وراء هذه الحوادث ... فاذا اتضح فى النهاية أن فى الأمر وحشا كما تعتقدين فان هـــذا سيكون خارجا عن اختصاصى .. وفى هذه الحـــالة فان مستر تمبلار ــ وهو ليس من رجال البوليس ــ قد يكون مفيدا لك .

ليس من رجال البوليس ـ قد يكون مفيدا لك ٠

وكرر باستيون ببطء : تمبلار ٠٠ يبدو أننى كان يجب أن أتذكر هذا الاسم ٠٠ ولكن ذهنى كان مشغولا بمسائل أخرى عندما سمعته للمرة الاولى ٠٠ نعم ، كان يجب أن اخمن ٠

وأحس تمبلار بالحرج من هذه اللهجة وود لو جنبه الناس هذا المديح والتزموا بعرض مشاكلهم فتدخل فى الحديث قائلا :

ـ لقد كان من سوء حظى أن التقى بى ماكنزى وأنا أغادر انفرنس ٠٠ لقد كنت فى طريقى الى بحرية لوموند للاستمتاع بجمال شواطئها كأى سائح برىء فرجانى أن أحضر معه الى هنا لكى أدس أنفى فى مشكلتكم ٠

وقالت مسز باستيون : اننا سعداء جدا بهـــذه الفرصة ! نويل أطلب منه أن يقضى الليلة معنا ٠٠ أعنى أن يقضى معنا عطلة نهاية الاسبوع ٠٠ أو بقية الاسبوع اذا استطاع أن يدبر وقته ٠

وأطاع باستيون متلعثما : نعم ٠٠ نعم بالطبع ٠ انه ليسرنا ذلك ٠٠ لابد أن تكون لتمبلار أفكار نيرة عن اصطياد الوحوش ٠

ونظر اليه تمبلار ببرود ثم اتخذ قرارا فجائيا سريعا

وقال :

ـ شكرا لك ٠٠ لكم يسرنى ذلك ٠٠ سوف أحضر أمتعتى توا ٠

وانطلق الى الخارج ٠٠٠

ان الجميع ٠٠ رجال البوليس والمدنيين يطلبون استضافته بمجرد أن يسمعوا اسمه ٠٠ حسنا ليمنحهم اذن هذه الفرصة ويرى ما ينتج عنها ٠

الموضوع ٠٠ اللهم الا حقوق الباحث الخاص ٠٠ وهى

وتبعه ماكنزى الى الخارج وخاطبه بلهجة حاسمة:

ـ تنبه الى أنه لن تكون لك اية سلطة فى هذا حقوق تختلف هنا فى اسكتلندا عنها فى امريكا٠

ـ سوف احاول جاهدا ان احسن التصرف ٠٠ ارجو ان تتصل بى تليفونيا لتخطرنى بنتيجة التشريح بمجرد ظهورها ٠٠ وفى انتظار هذه النتيجة أرجو ان تراجع القانون بخصوص اطلاق النار على الوحوش وما اذا كان يتحتم على المرء ان يحصل على ترخيص خاص بذلك ٠

ووقف تمبلار يرقب المفتش وهو ينصرف ثم عاد الى المنزل حاملا حقيبته ٠ وأحس بتحسن وقد ذهب عنه تلك العيون والاذان التى تحصى عليه حركاته وسكناته ٠

وقاده نوبل باستون الى غرفة صغيرة ٠٠ ذات نافذة تطل على منزل فيرجوس كلانريث ٠

وقالت مسز باستيون وهى ترتب له الفراش :

ـ ان المرء لا يستطيع الحصول على خدم فى مكان كهذا ومن حسن حظى أن هناك سيدة تاتينى من فورت أوغسطس مرة كل اسبوع لتقوم بالتنظيف الشامل ٠٠ انهن جميعا يفضلن البقاء فى المدن ٠

ونظر تمبلار الى باستيون ثم قال : من حسن حظك ان تعثر على سكرتيرة هنا كتلك الفتاة التى قابلتها فى

الطريق ٠

ــ آه ٠٠ أنت تعنى آنى كلانريث ٠٠ نعم ، لقد كانت تعمل فى ليفربول،ولكنها جاءت فى الكريسماس لتمضى ايام العطلة مع والدها ٠٠ وكنت وقتها محتاجا لبعض الكتابة على الالة الكاتبة بسرعة فساعدتنى فيها ٠ وكان كلانريث هو الذى عرض عليها البقاء ٠ ولم اكن استطيع ان ادفع لها الاجر الذى كانت تتقاضاه فى ليفربول ، ولكن والدها اوضح انها ستوفر لنفسها فى النهاية نفس القدر الذى كان يتوفر لها فى ليفربول لانها لن تدفع هنا نفقات الطعام والاقامة ، فهو سيتكفل بذلك فى مقابل ان ترعى المنزل ٠ ولانه ارمل ٠٠ فقد كانت الصفقة مربحة بالنسبة له ٠

وقالت مسز باستيون : ان باستيون كاتب وهو لم ينته بعد من كتابه الكبير ولكنه يعمل فيه طول الوقت ٠

وقال الكاتب : اننى أكتب عن حياة ولنجتون ٠٠ وهو أمر لم يقم به أحد من قبل بالطريقة التى أعتقد أنها واجبة ٠٠ بواسطة جندى محترف ٠

ــ ان ماكنزى لم يقل لى شيئا عن ماضيك ٠٠ فكيف يجب أن أناديك ــ كولونيل ؟

ــ لا ماجور فقط ٠

وبحسبة بسيطة أدرك تمبلار أن معاش ماجور متقاعد فى الجيش البريطانى لا يمكن أن يفى بالمطالب التى تستلزمها هذه المغامرة الجريئة ٠

وقطعت مسز باستيون على تمبلار حبل أفكاره بأن قالت :

ــ والان ٠٠ اذا أردت أن تستريح قليلا وتعتبر نفسك فى منزلك فسوف أعد لك الشاى فى مدى خمس دقائق ٠

كان تمبلار قد بدأ رحلته الى اسكتلندا بعقل مفتوح

ونفسية متفائلة ٠٠ولكن لو أن أحدا قال له بأنها ستؤدى به الى تناول الشاى فى منزل اثنين من الغرباء تماما بينما حقيبته ملقاة هناك فى غرفة نوم الزوار دون أن تفتح والحديث بينهم يدور عن وحش يبدو حقيقيا كما لو كان قردا ٠٠ لو أن أحدا قال له ذلك لما صدقه مطلقا ٠٠ ومع ذلك فقد كان الموضوع يملك على مضيفته كل عقلها ٠

قالت مسز باستيون وهى تتناول كتابا فاخر التجليد من رف للكتب : انصت الى هذا الكلام ٠٠ انه فقرة من تاريخ حياة سانت كولومبا ، كتب فى منتصف القرن السابع ٠ وهى تتحدث عن زيارته لانفرنس قبل مائة عام وقد ورد فيها :

« لقد اضطر الى أن يعبر مياه نيسا ، وعندما وصل الى الشاطىء رأى بعض السكان يحملون زميلا لهم قالوا أن وحشا مائيا قد أمسك به وعضه بوحشية بينما كان يسبح » ٠

ـ وعلى فرض وجود مثل هذا الوحش ، فكيف تتصورينه جاء الى هنا ؟

ـ ولماذا نفترض أصلا أنه جاء الى هنا ؟ اننى أتصور أنه كان موجودا هنا دائما ٠ ان عمق البحيرة ٧٥٠ قدما وهو ما يبلغ عمق البحر الشمالى والوحش الذى أتصوره مخلوق يفضل الاعماق ولا يطفو على السطح الا احيانا ٠ وأعتقد أن موطنه الاصلى كان دائما فى قاع البحيرات وقد احتجز هناك عندما أدت بعض التغيرات الجيولوجية فيما قبل التاريخ الى عزل البحيرة عن البحر ٠

ـ وظل يعيش هناك منذ ذلك الوقت ـ ترى منذ كم مليونا من السنين ٠٠

ـ ان الموجود الان ليس الوحش الاصلى ـ وأعتقد أنه كان هناك زوج منه على الاقل ٠ وانما هم سلالته وهى

كغيرها من المخلوقات البدائية تعيش لاعمار طويلة جدا ٠
ـ وأى نوع من الحيوانات تعتقدينه ؟
ـ الارجح أنه نوع من عائلة البليزيو ساورس ٠٠ فالاوصاف تنطبق على هذا النوع أكثر من أى شيء آخر ٠٠ جسم كبير ، وعنق طويل ، وأرجل تشبه الزعانف ٠٠ ويزعم بعض الناس أنهم رءوا بعض النتوءات على رأسه وهو الامر الذى يختلف عن الوصف المعتاد لهذا النوع من الحيوانات ٠٠ ولكننا على أى حال لم نر من البليزيوساورس سوى هيكله العظمى ومن ثم لا نستطيع أن نحدد شكله بالدقة ٠
ـ ولكن اذا كان الوحش موجودا هنا كل هذا الزمن ، فلماذا لم يقل أحد بوجوده منذ زمن بعيد ؟
ـ بل حدث ٠٠ لقد سمعت القصة عن سانت كولومبا ٠٠ كما سجلت عديد من المشاهدات التى يعتمد عليها منذ سنة ١٨٧١ فصاعدا ٠
واشترك باستيون فى الحديث أخيرا فقال :
ـ ولو لاحظنا أنه لم يكن هناك طريق مرصوف يؤدى الى البحيرة حتى سنة ١٩٣٣ ، وأن رحلة كتلك التى قمت بها اليوم كانت تعتبر شيئا شاقا لادركنا لماذا لم يكن هناك كثير من الشهود حتى وقت قريب ٠٠ شهود من النوع الذى يعتد العلماء بشهادتهم ٠
واشعل تمبلار لفافة تبغ ٠٠ لقد أصبحت الصورة واضحة ٠٠ فهى كالاطباق الطائرة تتوقف على ما تريد تصديقه ٠٠ ومن تريد تصديقه ٠
وخرج تمبلار عن صمته أخيرا وسأل مسز باستيون :
ـ ماذا تريدين عمله لكى تجعليه اكتشافا رسميا ٠٠
ـ ان لدينا هنا كاميرات سينما ذات عدسات قوية ٠٠ وأنا أقضى ثمان ساعات أرقب البحيرة ولكنى أغير

الاوقات بانتظام · كذلك يقوم نويل بالمراقبة بضع ساعات في بعض الاحيان ·· ووفقا لقانون الاحتمالات فمن المحتم أن يظهر الوحش فى النهاية فى المساحة التى تغطيها كاميراتنا · وعندما يحدث ذلك فسوف تلتقط له العدسات صورا تظهر كل تفصيلاته بما لا يدع مجالا للمناقشة ·· ان المسألة ببساطة مسألة صبر · وعندما أتيت الى هنا وضعت فى ذهنى أننى على استعداد لان أقضى عشر سنوات من أجل هذا الكشف اذا لزم الامر ·

ـ وأنت الان تعتقدين أكثر من أى وقت مضى أنك تسيرين فى الطريق الصحيح ·

ونظرت اليه مسز باستيون بعداوة مخيفة ثم قالت :

ـ الان ، سوف استخدم فى المراقبة بندقية قوية الى جانب الكاميرات · فالوحش الذى أتخيله لا يمكن أن يزيد حجمه على حجم الفيل وهو بالتأكيد يمكن أن يصاب بالرصاص ولقد ظللت أعتقد أنها جريمة أن يقتل المرء آخر سلالة هذا الجنس ، ولكن منذ أن رأيت ما فعله بجولى المسكين تولدت عندى رغبة شديدة فى أن أحصل عليه جثة كما أحصل عليه صورة ·

وطال هذا الحديث بين تمبلار ومسز باستيون .. وكانت الاخيرة قد جمعت عددا كبيرا من الكتب عن الموضوع ·· كانت مستعدة لان تقرأ فقرات مطولة من أى منها ·

ولم تكد الساعة تبلغ الثامنة والنصف حتى أعلنت مسز باستيون أنها ستأوى الى فراشها قائلة :

ـ اننى أريد أن أستيقظ فى الساعة الثامنة صباحا وأخرج الى البحيرة قبل أن يبزغ ضوء النهار ·· وهو نفس الوقت الذى خرج فيه الوحش صباح اليوم ·

ـ حسنا ·· فقط اطرقى بابى وسأخرج معك ·

وقال باستيون معقبا : اذا كنت ستتكرم بمرافقتها فبوسعى أن انام الى ساعة متأخرة ·· أن لدى بعض العمل يجب الانتهاء منه الليلة ·· وليس ذلك لان اليانور لا تستطيع أن تعتنى بنفسها بل لاننى أفضل ألا تخرج بمفردها بعد الذى حدث ·

ـ يبدو أنك متأكد من موضوع هذا الوحش ، أليس كذلك ··

ـ اننى لا أهضم هذا الموضوع ولكنك رأيت بنفسك انه ليس من السهل أن يجادل المرء مع اليانور ·· وهى من ناحيتها تثير ضجة كبيرة حوله .. ومع ذلك فقد ظللت حتى هذا الصباح أنظر الى الامر بعقل مفتوح ·

ـ وهل لم يعد الان هكذا ··

ـ بكل صراحة ·· أننى لست متأكدا · ولقد آن الاوان لان يحسم الامر بطريقة ما ·· وربما صادفكم حظ حسن غدا ·

وزحف ضوء النهار بطيئا ·· ومع ذلك ظلت البحيرة ساكنة لا اثر فيها لحركة ·· وقد طوت أسرارها تحت سطحها اللؤلؤى اللامع ·

وأخيرا قالت مسز باستيون : اننى أتعجب ·· ما الذى اخطأنا فيه ·· كان يجب أن يظهر الوحش حيث قتل آخر ضحاياه ·· ربما كان يجب أن نترك جولى حيث كان وننصب كمينا الى جواره ·

ولم يكن تمبلار يحس بنفس خيبة الامل لانه فى قرارة نفسه يشعر بأن الامر كله غير حقيقى وقال مواسيا :

ـ كما قلت أمس ·· ان المسألة مسألة صبر ·· وحيث ان باقى الساعات الثمانية لم تعد أكثر من روتين ، فلا أظنك تمانعين اذا تركتك لاتجول قليلا ·

وابتعد فى تجواله عن المنزل قليلا عندما رأى رأسا

أحمر يعلو جسما متمايلا جعل نبضه يسرع على أمل أن يلقى تعويضا رومانتيكيا عن هذه العزلة التى أوقعه فيها ماكنزى ·

كانت ابتسامة آنى كلانريث تشع لهفة وسعادة عندما رأته كما لو كان صديقا قديما عزيزا غاب منذ زمن بعيد ·· وابتدرت تمبلار قائلة :

ــ لقد أخبر المفتش ماكنزى والدى أنه تركك هنا ·· اننى سعيدة غاية السعادة أنك بقيت معنا ··

ــ وأنا سعيد لسعادتك ·· ولكن ما الذى يضفى على بقائى هذه الاهمية ··

ــ أن أجد الى جوارى شخصا جديدا أستطيع أن أتحدث اليه ·· أنك لم تعش هنا طويلا لكى تقدر مدى السأم الذى أحس به ·

ــ ولكنك حصلت على عمل أكثر جاذبية من العودة الى مكتب فى ليفربول ·

ــ ان العمل هنا ليس سيئا ·· كما أن الحياة بين هذه المناظر الجميلة أمر لطيف ·· ولكننى أقرأ كتبا وأشاهد التليفزيون ، ولا أستطيع مغالبة الاحلام التى تراودنى ·

ــ ان فتاة مثلك تريد أن تكون حياتها حافلة ·

ــ أن كل ما يشغلنى هو صفحات ذو صفحات من الاستراتيجية العسكرية ، عن رجل كل ما فعله أن استطاع أن يهزم نابليون ·· ولكن نابليون كانت عنده جوزفين على الاقل ·· أما ولنجتون فكل ما فعله أن أطلق اسمه على حذاء قديم ·· لقد تكلم والدى بطريقة سخيفة عن مستر باستيون ولكنه لطيف للغاية ·· ألا ترى ذلك معى ··· من المؤسف أنه متزوج ·

ــ ربما لا تشاركك زوجته الرأى ·

ــ أعنى أننى فتاة عادية وأننا لسنا من طراز عتيق ··

والشيء الوحيد الذى افتقده هنا هو رجل أغالب عواطفى نحوه ·· والواقع اننى بدأت احس انه لو حدث وظهر فى الافق رجل ما فلن استطيع مقاومته ··

ـ الى أين كنت ذاهبة ؟

ـ الى عملى ·· لقد جئت عبر الحقول لان هذا الطريق اقصر ·

واستدار وسار معها عبر الحديقة الصغيرة غير المنسقة لمنزل آل باستون ·

ـ يؤسفنى ان ارتباطك بالعمل يحول بينى وبين اصطحابك فى نزهة خلوية ·

ـ اننى سيئة الحظ ·· ولكن هناك حفلة راقصة فى فورت اغسطس مساء غد ·· وانا لم أرقص منذ شهور ولا أعرف هنا أحد يمكن أن يصحبنى الى الحفل ·

ـ يسرنى أن أكون هذا الشخص ·· ولكن الامر يتوقف على ما ستسفر عنه الاحداث هنا ··

وعندما دخلا الى الصالة ، خرج باستيون من حجرة خلفية وقال :

ـ آه ·· صباح الخير يا آنى ·· هناك بضع صفحات راجعتها مساء الامس على مكتبى ·· سوف الحق بك فى لحظات ·

ودخلت آنى الى الحجرة التى كان قد غادرها لتوه ، ثم التفت هو الى تمبلار ·

ـ أعتقد انك لم تر شيئا ·

ـ لو أننا رأينا شيئا لسمعت طلقات رصـــاص وصرخات ·

ـ وهل تركت اليانور هناك ؟

ـ نعم ولكنى لا أعتقد انها فى خطر فى وضح النهار ·· هل اتصل ماكنزى ··

ـ لا ·· لم يتصل بعد · أعتقد انك متلهف على مكالمته ·· ان التليفون فى حجرة الجلوس · فلماذا لا تجلس هناك ·· وقد يشوقك فى نفس الوقت أن تجوس خلال عدد من كتب اليانور عن الوحش ·

وقبل تمبلار الاقتراح مرحبا ·· وسرعان ما وجد نفسه مستغرقا حتى أنه لم ينتبه الى مرور الوقت الا عندما دخل عليه باستيون يخبره ان الغداء جاهز ·

وكانت مسز باستيون قد عادت من الخارج وبدأت فى اعداد الطعام ·· قالت :

ـ لقد كنت على الصواب ·· كان الانتظار مجرد روتين لا طائل من ورائه ·· ولكن فى يوم من الايام سوف أخرج بنتيجة ·

وقال باستيون : لقد كنت افكر فى الامر يا عزيزتى ويبدو أن هناك نقطة ضعف واحدة فى النظام الذى تتبعينه ·· فانت لا تغطين بمراقبتك سوى ربع البحيرة تاركة للوحش ثلاثة ارباعها يمكن ان يظهر فيه دون أن تريه ·· ولكن فوق كل ذلك فان المراقبة لمدة ثمانى ساعات فقط من كل أربع وعشرين ساعة يعطينا ثلث الفرصة فى التواجد عندما يظهر ذلك الوحش ·

ـ أنا أعرف هذا ·· ولكن ما العمل ·

ـ حيث ان مستر تمبلار قد أوضح ان المرء يستطيع أن يكون آمنا اذا تسلح ببندقية قوية ·· فقد فكرت فى أننا نحن الثلاثة نستطيع أن نقسم بيننا المراقبة ونغطى اليوم كله من قبل الفجر حتى بعد الغسق وهو الوقت الذى يسمح فيه ضوء النهار بالرؤية ·· هذا اذا كان المستر تمبلار راغبا ·· انا اعلم انه لا يستطيع البقاء هنا الى ما لا نهاية ولكن ··

وقاطعه تمبلار قائلا بلا مبالاة :

ـ بل يسرنى أن اشارك فى هذا العمل ٠٠
وربما كان من الافضل لو أنه بدأ أكثر حماسا ، ولكنه لم يستطع أن يقنع نفسه بأن الوحش يمكن الامساك به بمثل هذا النظام ٠٠ كان متلهفا على سماع تقرير ماكنزى باعتباره النقطة الجوهرية ٠
وجاءت المكالمة فى حوالى الساعة الثانية مساء وكانت سلبية ٠٠ قال ماكنزى :
ـ لم يستطع الطبيب أن يعثر على أى أثر لمخدر أو سم فى معدة الحيوان المسكين ٠
وأخذ تمبلار نفسا عميقا ثم سأل :
ـ وما رأيه فى الاصابات ٠
ـ لقد قال انه لم ير مثلها فى حياته ٠٠ وهو لا يعرف شيئا فى العالم له مثل هذه القوة الساحقة فى فكيه ٠٠ ولولا علامات الاسنان لاعتقد أن الكلب مات بضربة هراوة ولكن التشريح يجعل هذا الاعتقاد مستحيلا ٠
وقال تمبلار بصراحة : وهكذا فانت تعتبر الموضوع خارجا عن اختصاصك تماما ٠٠ ومع ذلك ارجو أن تعطينى رقما استطيع الاتصال بك فيه اذا تغيرت الصورة مرة أخرى ٠
وكتب الرقم فى مفكرة الى جوار التليفون قبل أن يعيد التقرير على مسامع آل باستيون ٠
وقالت مسز باستيون : ان هذا يحسم الامر ٠٠ لا يمكن الا أن يكون الوحش ٠٠ ولدينا الان من الاسباب ما يجعلنا نجرب فكرة نويل فى المراقبة طول النهار ٠
وتطوع باستيون قائلا : لقد نمت جيدا هذا الصباح ولهذا فسوف ابدأ فورا ٠٠ ومن حقكم انتم أن تحصلا على قسط من الراحة ٠
وقالت مسز باستيون : سوف اتسلم منك انا لانني

اريد أن أكون هناك ساعة الشفق ·· صحيح اننى بهذا احتكر لنفسى أكثر الاوقات احتمالا لظهور الوحش ولكن الامر يهمنى أكثر مما يهم أيا منكما ·

وساعدها تمبلار فى غسل الاطباق بعد أن تناولوا القهوة ثم انسحبت قائلة :

ـ سوف أكون أكثر نشاطا اذا نمت قليلا ·· لماذا لا تفعل نفس الشيء ·· لقد كان كرما شديدا منك أن تستيقظ فى منتصف الليل لتصحبنى ·

ـ يبدو أن الحاجة لن تدعو الى حتى صباح الغد ·· ولذلك فسوف أمضى بعض الوقت فى القراءة عن هذا الوحش الذى أصبحت مهتما به مثلك ·

وعاد الى الكتاب الذى كان يقرأه ·· وكانت آنى كلا تريث قد انصرفت قبل الغداء حاملة معها كمية من الاوراق لكتابتها على الالة الكاتبة فى منزلها ·

ووضع الكتاب على ركبتيه واستلقى ساكنا يفكر وقد تمدد على الاريكة ·· كانت هذه طريقته فى معالجة المشاكل العميقة ·· ان يسترخى فى حالة من الصفاء التام يمكن خلالها للانطباعات نصف الشعورية أن تنمو وتتآلف لكى تصوغ فى النهاية نتيجة لا تقل دقة عن المعرفة ·· وظل لفترة من الوقت محملقا فى سقف الحجرة ·· ثم عاد الى التأمل وقد اغمض عينيه ·

واستيقظ على صوت نويل باستيون وهو يدخل الحجرة وأسرع الرجل يعتذر :

ـ اننى آسف يا تمبلار ـ لقد ظننت انك فى حجرتك

ونظر القديس الى ساعته وقد استغرب أن يقضى كل هذا الوقت نائما ·· ثم قال :

ـ لا بأس ·· لقد كنت افكر قليلا ·· ولابد أن النعاس غلبنى ·

ـ لقد استلمت منى اليانور منذ ساعة ٠٠ وأنا طبعا لم أر شيئا ٠
ـ اننى لم اسمعك تدخل ٠
ـ أنا لا أحدث صوتا أثناء المشى ٠٠ لابد أن هذه عادة اكتسبتها من التدريب على حرب العصابات ٠
واتجه باستيون الى رف الكتب وتناول كتابا قلب صفحاته بحثا عن شىء معين يريد الرجوع اليه ثم قال :
ـ لقد كنت احاول الكتابة ٠٠ ولكن ليس من السهل على المرء أن يركز ٠
ووقف تمبلار يتمطى ثم قال :
ـ اعتقد انك يجب أن تروض نفسك على العمل تحت الصعوبات اذا كنت تنوى أن تشارك فى محاولة صيد هذا الوحش لمدة عشر سنوات ـ اليست هذه هى المدة التى قالت اليانور انها مستعدة لقضائها ٠
ـ أرجو أن تكون أقل من ذلك بكثير ٠
ـ لقد كنت أقرأ هذا الكتاب « أكثر من اسطورة » انه فى سنة ١٩٣٤ عندما كانت الضجة حول الوحش فى ذروتها قام رجل يدعى سير ادوارد مونتين باستئجار عدد من الرجال ونظم مراقبة منتظمة كتلك التى اقترحتها انت ولكنه وزعهم فى جميع أنحاء البحيرة ٠٠ واستمر العمل لمدة شهر أو شهرين حصلوا خلالها على عدد من الصور ولكن أيا منها لم يقبل علميا ٠
واعاد باستيون الكتاب الذى كان بيده الى الرف مرة اخرى ٠
ـ الا زلت متشككا ؟
ـ ان ما أعجب له هو لماذا قتل هذا الوحش الكلب دون ان يلتهم منه ولو قطعة صغيرة ٠
ـ ربما لا يكون من آكلى اللحوم ٠ ان فيلا غاضبا قد

يقتل انسانا ويحوله الى كتلة من اللحم ولكنه لايأكله ٠٠ وهذا الكلب قد يكون مثيرا للمتاعب ٠٠ ينبح على كل شيء ٠٠

ـ وفقا لما سمعته لم يكن هناك أى نباح ٠٠ ومن المؤكد أن الخروف الذى يفترض أن الوحش أخذه لم ينبح ٠ ولكن هل اختفى الخروف كلية ؟

ـ هذا هو ما يقوله كلانريث ٠٠ ولكن ربما سرق الخروف ٠

ـ ومن هنا ربما أوحى هذا الحادث لاحد الناس بأن يخترع قصة الوحش ٠

وهز باستيون رأسه واستطرد قائلا فى عناد ٠

ـ ولكن الكلب كان ينبح بالتأكيد لدى رؤيته لاى شخص ٠

ـ الا الناس الذين يعرفهم ٠٠ كل كلب له اناس مألوفين ٠٠ فأنت مثلا لو رآك الكلب لفتح احدى عينيه ثم عاد الى النوم ثانية ٠٠ والان ، هل أنت متأكد أن أحدا آخر لم تكن له مثل هذه العلاقة بالكلب ٠٠ هل كان بوسع ساعى البريد أو بائع اللبن أن يصادقاه ؟ أو أى فرد آخر على الاطلاق ؟

وحك الرجل الاخر شاربه ٠

ـ لا أعرف ٠٠ حسنا ٠٠ ربما فيرجوس كلاتريث ٠

وطرقت عينا تمبلار

ـ ولكن لقد بدا لى انه لا يحب الكلب

٠ ـ ربما ٠٠ ولكن الكلب كان يعرفه جيدا ٠٠ فقد اعتادت اليانور أن تخرج الى الحقول يتبعها جولى وكانت تمر بمنزل كلاتريث وتقف للتحدث معه ٠٠ ان علاقتها به طيبة ٠٠ ربما أكثر من علاقتى به ٠

ـ ماذا ، هذا الغبى العجوز ٠٠

ـ اعلم انه مملوء بالتعصب القومى الاسكتلندى ولكن اليانور نفسها نصف اسكتلندية ·· وهما يمضيان الساعات الطوال يتحدثان عن صيد السلمون والبط ·

وقال تمبلار بعد تفكير :

ـ اننى أتساءل ما اذا كان يملك جانبا جذابا خفيا ·· أو أن آنى ورثت كل جاذبيتها عن والدتها ·

ـ انها فعلا فتاة جذابة ·

ـ ان لدى احساسا بأن جاذبيتها قد تشكل خطرا على نوع معين من الرجال فى ظروف معينة وربما فى سن معين ·

وبدا نويل باستيون على وشك الادلاء برأى معين ، وأخذ يزن الرد قليلا وغير رأيه مرتين ثم ابتلعه فى النهاية ولاذ بالصمت ·· وحاول بعد ذلك أن يخرج عن صمته بالنظر الى الساعة المعلقة فوق المدفأة وأخيرا قال :

ـ هل تأذن لى ؟« لقد طلبت منى اليانور أن اذهب اليها بترموس من الشاى ·· انها تكره أن تضحى بالشاى حتى ولو كان ذلك فى سبيل الوحش ·

ـ تفضل ·

وتبعه تمبلار الى المطبخ حيث كان البراد يغلى على الموقد ووقف يرقب مضيفه وهو يضع الشاى بعناية فى البراد ثم قال :

ـ هل تعلم يا ماجور ، اننى لست مخبرا بالطبيعة حتى من النوع الخاص ·

ـ اعلم ذلك ·· وفى الواقع لقد اعتدت أن تكون عكس ذلك ·

ـ هذا صحيح أيضا · ولكننى أجد نفسى فى مواقف اكون مضطرا فيها لان أقوم ببعض الاستنتاجات ··

وأحيانا ما أخرج بنتائج مذهلة . ولكننى كقاعدة عامة أفضل أن أمنع وقوع الجريمة عن أن أحل معضلاتها كما يقول المثل الوقاية خير من العلاج .

كان الماجور قد صب الماء المغلى على الشاى بيد ثابتة .. قال :

ـ ولكنك تأخرت هذه المرة فى منع الجريمة ، أليس كذلك .. اذا كان فى الامر جريمة .

ـ ليس بالضرورة .. اذا كان موت جولى مجرد خطوة أولى .. مجرد أساس تبنى عليه قصة الخروف الضائع وتمهد الطريق لان يكون الضحية التالية للوحش انسان .. فانه اذا قتل شخص بنفس الطريقة الان فسوف يحظى تفسير الوحش بعدد كبير من المصدقين أكثر مما لو حدثت وفاة الشخص هكذا بلا مقدمات .

ووضع باستيون السكر واللبن فى الترموس بنفس اليد الثابتة وقال :

ـ ولكن بالله عليك يا تمبلار ، من الذى يمكن أن يعامل كلبا بهذه الطريقة اللهم الا أن يكون مجنونا ساديا .

وأشعل تمبلار لفافة تبغ .. لقد تأكد الان .. وجعله التأكد يبدو هادئا غاية الهدوء .

قال : بل يستطيع القاتل المحترف ذلك .. أن هناك كثيرين منهم لا توجد لهم سجلات فى البوليس اناس أصبحوا بحكم عاداتهم وأمزجتهم معتادين على رؤية الموت ولكنهم مع ذلك ليسوا ساديين . انهم عطوفين على الحيوانات بل وعلى البشر أيضا .. عندما يكون من المفيد أن يظهروا على هذه الصورة .. ولكنهم فى الاساس يرون أنهم يمكن الاستغناء عنهم ، وعندما يحين الوقت يضحون بهم دون أى تأثر .

وقال باستيون ببطء :

ـ انا اعرف أن كلانريث فلاح وهو لا يربى الحيوانات الا لتذبح ·· ولكن من الصعب أن أتصوره يفعل ما تقوله رغم كراهيتى الشديدة له ··

ـ اذن فأنت تعتقد انه برىء ؟

واحكم باستيون غطاء الترموس وقال :

ـ أنا لا أعرف شيئا ·· اعطنى فرصة للتفكير ·· ولكن يجب أولا أن أوصل هذا لاليانور ·

ـ اذن سوف أذهب معك

وخرج فى أثره من الباب الخلفى ·· وفى الخارج كان الليل قد بدأ يرخي سدوله وقد انتشر الضباب حتى أن المرء لم يكن ليرى الى بعيد ·

واستطرد تمبلار قائلا :

ـ كذلك من الصعب على الرجل العادى أن يتصور شخصا عاش مع آخر كزوج وزوجة ، يتبادلان الحب ويتقاسمان أدق الاسرار ، ثم ينقلب هذا الشخص ليقتل رفيقه ·· ولكن زنزانات السجون مليئة بهم ·· كما أن العالم مليء بالكثيرين منهم ممن لم يقبض عليهم ·· أو ممن لا يزالوا يدبرون لجريمتهم · ففى نصف الحالات على الاقل ، يتحول الزواج بعد فترة الى شيء ممل بينما وعندئذ ، ولسبب أو لاخر ، غالبا ما يكون متصلا بالمال ، يبدو القتل أكثر ذكان من طلب الطلاق ·

وأبطأ باستيون فى سيره ، وقد التفت نصف التفاتة لكي يحملق فى وجه القديس من تحت حاجبيه الكثيفين وقال :

ـ أننى لست غبيا تماما يا تمبلار ·· وأنا لا أستسيغ ما تحاول التلميح اليه ·

ـ أنا لا أتوقع أن تكون غبيا يا عزيزى ·· ولكننى أحاول وقف جريمة قتل · دعنى أعترف لك بأمر ما ··

عندماكنت أنت واليانور نائمين أو فى الخارج قمت ببعض الابحاث وهو ما قد يكون انتهاكا لكرم الضيافة ولكنه أفضل من استصدار أوامر قبض · أنت تذكر تلك الخطوط التى كانت موجودة على الارض قرب الكلب وهى ما ذكرت انها يمكن أن تكون قد حدثت بشىء غير المخالب · حسنا ·· لقد عثرت على شرشرة بين آلات الصيد الخاصة بشخص ما يمكن أن تكون هى التى أحدثت تلك الخطوط بل لقد رأيت عليها آثار طين يمكنالاسنانأنى أراهن أن ماكنزى سوف يعثر عليها ·· كما انأعثر بعد على الهراوة التى ثبتت فيها الاسنان لانه لم يسمح لى بعد أن أذهب الى البحيرة بمفردى ·· ولكننى أعتقد انها هناك فى مكان ما .. وربما كانت مخفية تحت احدى الشجيرات تنتظر ان تهوى على الراس المطلوب عندما تحين الفرصة .

وعند هذا الحد كان الماجور باستيون قد توقف تماما عن السير وقال باضطراب :

ـ أيها الوغد .. هل ستبلغ بك الوقاحة الى حد اقتراح أننى احاول قتل زوجتى لكى أرث نقودها وانطلق مع ابنه فلاح .. فلتعلم اذن أننى الطرف الذى يملك دخلا خاصا و ..

ـ يا لك من أنانى مسكين . أننى لم أشك فى ذلك للحظة واحدة بعد أن عرضت الفتاة نفسها على وانا الضيف الغريب فى منزلكم . ان الفتاة ليست غبية .. وليس هناك من فتاة على قدر من الذكاء تقامر بتفاهمها الراسخ معك مقابل مغازلة عرضية . ولكن الم تقرا قصة عشاق الليدى شاترلى .. والم يخطر ببالك أن امراة قوية كاليانور يمكن أن تصاب بملل قاتل مع زوج لا يهتم الا بمعارك ولنجتون .

وفغر نويل باستيون فاه وتقلصت قبضتاه .. وفى هذه اللحظة جاءت الصرخة .. كانت صرخة مليئة بالرعب والفزع شقت سكون الليل فجعلت شعر القديس يقف رعبا .. ولم تتوقف الصرخة بل تكررت مثنى وثلاث ورباع .

ولفترة من الوقت وقف الرجلان فى مكانهما وقد شلت المفاجأة حركتهما ، ثم استدار باستيون وبدأ يجرى عبر المرعى فى اتجاه الصوت وهو يصيح بصوت حاد هسترى « اليانور » ! وكان يعدو بجنون حتى ان تمبلار اضطر لأن يبذل أقصى ما لديه من جهد لكى يلحق به .. وما أن لحق به حتى كان باستيون يتعثر ويكاد يقع فوق شيء كان ممددا فى طريقهما . وكان تمبلار قد رأى هذا الشيء قبله بلحظه فتفاداه وقد عرف فيه ماسورة بندقية طويلة .

وعندئذ ، رأى من خلال الضباب شيئا لن يصدق عينيه عليه ولكنه لن يبرح مخيلته بقية حياته . شيئا رماديا مائلا الى السواد .. كتلة هلامية ضخمة تخرج منها رقبة طويلة وراس غريب . ولكنه رأى فى الفكين المتدلين شبها بالانسان الذى انطلقت منه الصرخة وكانت يداه ممسكتين بهراوة غريبة .

وبلا وعى منه التقط باستيون البندقية واطلقها .. وتلوى المخلوق البشع واحتبست الصرخة الاخيرة فى حلقه .

وسقطت الرقبة عن الجسد .. واندفع نحوهم ما كان آدميا فسقط عند أقدامهم بينما استمر باستيون يطلق النار على المكان الذى كان فيه .

وعندما ألقى باستيون أخيرا بالبندقية . وجثا على ركبتيه الى جوار جسد زوجته ، نظر تمبلار اليها

وراى ان يدها كانت لا تزال ممسكة بالهراوة التى كان مثبتا فى نهايتها صف من أسنان سمك القرش .

قال تمبلار : لقد عملت كل ما بوسعها لكى تخدع الجمع بقصـــة الوحش .. واذا كنت تريد فاننـــا نستطيع أن نترك الموضوع على هذا النحو . ومن حسن الحظ أننى شاهد على ما حدث الآن .

وخلص الهراوة برفق من الاصابع الميتة وحملها معه عندما ذهب ليتصل بماكنزى .

((تمت))